رواية

غُرفَة كانبرا

مَحمُود وَهبَة

دار اكتب

٢٣٧٨٤٩

غرفة كانبرا

غرفة كانبرا

محمود وهبة

الطبعة الأولى، القاهرة 2018م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد رجب عواد

رقم الإيداع : 2593 /2018

I.S.B.N: 978-977-488- 548- 8



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة، مصر

هاتف : 01111947957

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

غرفة كانبرا

رواية

محمود وهبة



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهداء

إلى أشـخاص يمثلـون الحيـاة "أبـي، إخـوتي، زوجـتي، أبنائي، عائلتي".

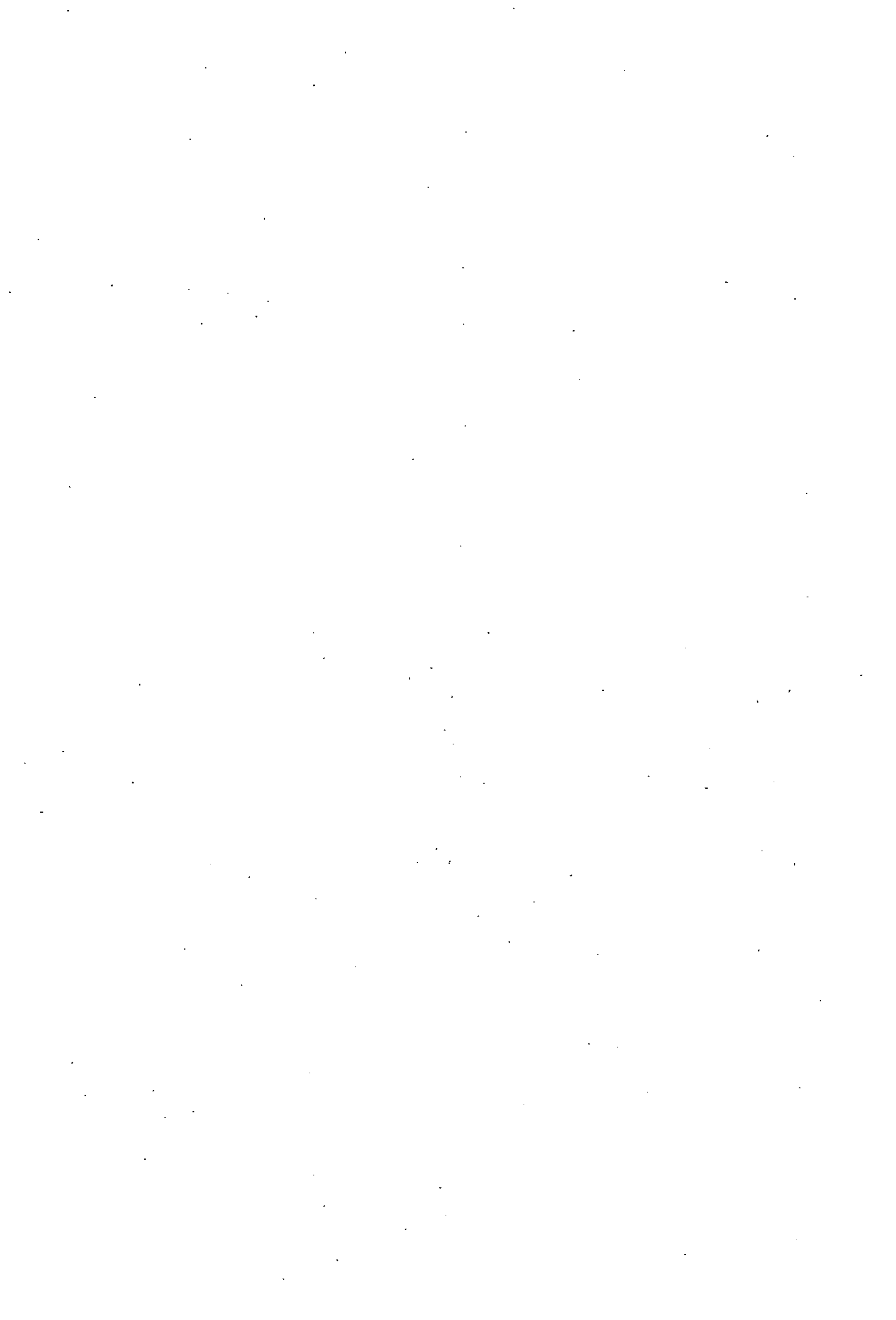
أهدي كلماتى القادمة إلى كل من ساهم ودعم تلـك الفكـرة كـي تكتمل وتصبح رواية.

إهداء إلى الخوف الكامن في نفوس الغافلون، إلى البرد الذي يسري في ظلام أمـاكن بعينهـا، إلى النـار المشتعلة في جـسد لا نراه لكنه يرانا.



تنويه

"كل أحداث تلك الرواية لا تمتُّ للواقع بأي صلة من بعيد أو من قريب، وإنما الغرض منها الإمتاع فقط والخروج من الواقع وترك المجال للعقل كي يتخيل ما كان وما سيكون، لذلك لزم التنويه".



مقدمة

الصراع أبدي منذ القدم، صراع لم يقرره سوى طرف واحد، طرف لم يَرَ سوى كبريائه المجروحة وعزته التي أذلها بنفسه المشتعلة، نفسه التي أمرته بالعصيان والتجبرُ والتكبر، وأعلن الصراع على نفسه قبل أن يعلنه على عدوه الغافل حتى تلك اللحظات التي تقرأ فيها سطوري الآن.



"كُلٌّ إنسان قد اختير لسببٍ ما وهدفٍ ما"

غرفة ب"كانبرا"

- إن استطعت أن تمكث داخلها "5" دقائق فقط فهي لك.

قالها العجوز، وتركني أمام تلك الغرفة القابعة وحيدة بمنزل معزول ناءٍ، بإحدى المناطق التي تبعد عن العاصمة "كانبرا" بعض الكيلومترات.

عرض مغرٍ بالنسبة لشاب أتى إلى "أستراليا" بعد أن سعى بهجرة إليها في صراع دام أربع سنوات حتى ظفر بتأشيرة، وختم عبور إليها بلا عودة.

بحثتُ كثيرًا على مسكن بثمن مناسب، وأقل إيجار وجدته أن ذاك لا يتعدى البضعة دولارات "أسترالي" كان عند ذلك العجوز المريب المظهر، كما أنه قريب من العمل الذي حصلت عليه بمركز محاماة بعد توصية كبيرة أتتني من دكتور بإحدى الجامعات المصرية التي كانت محراب دراستي بعد أن حصل على مبلغ لا داعي لذكره.

لقد حلمت بتلك اللحظات منذ أربع سنوات طوال، عانيت فيها أشد العناء، حتى انحرف سلوكي واتجهت في عدة طرق لا آخر لها سوى الهلاك، وها قد أتى ذلك اليوم الذي تحققت فيه كل أحلامي، أن أغادر أسوار بلدي العالية كالسجن الذي لا باب له، وبالقليل من الترتيب والكثير من التهور ذهبت حتى دون وداع الأهل وأقرب الأقربين، لقد هربتُ وأنا سعيد من أجل ذلك.

منزل قديم الطراز يطل وحيدًا وسط أرض زراعية شاسعة المساحة، مكوّن من دورين بكل دور ثلاث غرف بخلاف البدروم والقبو،كان نصيبي أن أحصل على غرفة منهم بالدور الثاني كما قال لي صاحب ذلك البيت، الرجل المسن صاحب السبعين عامًا على ما يتضح من معالم وجهه المتجعدة وانحناءة ظهره الذي أثقله الزمن، شخص لم ألقَ راحة في القرب منه، قليل الكلام بطيء الحركة، صاحب نظرات ثاقبة مريبة رغم ضعف نظره، عندما سألته عن اسمه قال بكل حدة أفزعتني:

– أنا أتيت معك كي أؤجر لك غرفة لا كي أتعرف إليك وتتعرف إليّ، كما أن عقد الغرفة سيكون مع السيد "ماركوس" رب عملك وليس معك، فليس معك ما يُغنيك عن جوعك، فلتدخل معي إلى البيت وتُلقِ نظرة على تلك الغرفة الواحدة الشاغرة، وإذا رضيتَ بها واستطعت أن تمكث داخلها "5" دقائق فقط فهي لك.

لقد كان قاسيًا حقًّا في رده على أسئلتي، إن كان لا يودُّ أن يؤجر لي تلك الغرفة فما منعه من ذلك، أظنُّ أنه مضطر إلى ذلك، وبحاجة إلى المال هو الآخر.

***

هل شعرت سابقًا بكهرباء تسري بجسدك ولكنها باردة؟

لا أظنُّ هذا، ولكن هذا ما شعرت به فور دخولنا إلى هذا المنزل الأشبه بثلاجة موتى ضخمة مظلمة، ظلت فترة كبيرة موصدة حتى تجمد كل ما بها وفقد لون الحياة، كل شيء مُرتب، ومنظم بشكل جميل غير تقليدي، كل شيء متُناسِق مع بعضه البعض لولا أن تلك الأتربة المتراكمة أفسدت هذا المشهد، يبدو أن المنزل مهجور منذ سنوات لكن العجوز يصر على قوله إن لديه غرفة واحدة شاغرة، يبدو أنه يضع ما يخصه بكل الغرف، وقرر أن يؤجر واحدة لعلها تأتي له ببعض الدولارات تساعده على أعباء المعيشة.

لم يقرضني ذلك العجوز القليل من الوقت كي أتجوَّل بعيني داخل المنزل وأُدقِّق النظر في تلك اللوحات التي تكاد تتحرك شخصياتها، خطا خطوات ثقيلة ثابتة باتجاه السُّلم الذي يقود إلى اعلى، وكان عليَّ أن أتتبعه قاطعًا تأملي في محتويات المكان الصامتة.

– أتسمع ما أسمع؟

نعم تلك الجلبة التي يصدرها ذلك السلم الخشبي الذي تضرر مع الزمن، ولكن لا يهم ما دام لم يهوِ بنا حتى الآن، صور مختلفة ومتنوعة غريبة الشكل والرسومات على طول تلك الطرقة التي تؤدي في نهايتها لغرفة قابعة وحيدة وسط الظلام، لا تخبرني أيها العجوز أنها هي رجاء.

أحسست أن الممر يضيق كلما اقتربنا من تلك الغرفة التي تقبض قلبك من الوهلة الأولى فور رؤيتك لها، باب خشبي قديم متضرر به بعض الشروخ كأنها مخالب حيوان ما حاول اختراقه عدة مرات، وباءت محاولاته بالفشل، كما أن طلاءه الأحمر متساقط الجوانب، ليرسم لك لوحة من باطن الجحيم، لك أن تعلم أن هناك بالأسفل هو المعنى الحقيقي للجو الدافئ مقارنة بما نشعر بقدومه من داخل تلك الغرفة المظلمة.

اقترب العجوز وفتح باب الغرفة المظلمة الذي كان "مواربًا" بعض الشيء، الباب أصدر صوت أنينٍ كأننا أزعجناه من سبات، رجع الرجل للخلف قليلًا فتسلّل النور الخافت إلى داخلها لتظهر ملامحها المطمسة ثم عند عتبة بابها توقف وأشار إليّ بالدخول كي أراها، وأنظر في محتواها وأخبره بردى النهائي بعدها.

لقد أُصبت بلكمة أو هكذا شعرت، ليست لكمة مادية، ولكنها لكمة حسية، وهي قوية بحقٍّ، وكأنني فقدتُ الوعى لجزء من الثانية، سرتُ أترنَّح حتى استعدتُ اتزاني، وتفقّدت الغرفة جيدًا.

هناك فراش مهندم، ونظيف، ومكتب صغير قديم الطراز يحتضن كرسي صاحب عجزٍ، فلديه رجل من الأربع متضررة، وتم علاجها بطريقة سادية فأصبح عجزه دائمًا، خزانة للملابس تشعر أنها مكيف للهواء مجرد ان تفتحها ستأمل بوجود مدفئة تسكن إليها، تلفاز حديث الطراز وهذا الأمر أسعدني كثيرًا غير أنه مُخالِف لتقاليد الغرفة الطاعنة بالسن، هناك شباك صغير يطل على الشارع، ولكنه موصد بأخشاب، ومسامير لم أشعر تجاهه براحة، وهناك باب آخر متوارٍ داخل الظلام، وأظنُّ أنه باب لدورة مياه تابعة للغرفة، هذا جيد بالفعل غرفة متكاملة ذات إمكانات متواضعة، لا بأس بها ولا أحتاج إلى أكثر من ذلك.

جلستُ على الفراش، ونظرت إلى العجوز المتربص بي كفريسة، وقلت له في سخرية:

- أظنُّ أنها لي الآن، لقد مكثتُ بها أكثر من عشر دقائق حتى الآن.

نظر إلى عيني مباشرة ورسم على وجهه ابتسامة مُحيرة وقال:

- أقصد "5" دقائق في الظلام أيها الشاب، في الظلام وحيدًا".

ثم أغلق الباب فجأة، ظننتُ أنها مُزحة، ولكن مرت ثوانٍ، ولم يفتح، وسمعتُ بعدها صوت إغلاق الغرفة بمفتاح من الخارج، وقدماه تبتعدان.. حتى سمعت استغاثة السلم المتهالك، ولكن لا يهم ذلك

الصوت الآن فقد كان هناك صوت آخر لا أستطيع تميزه، صوت انتزع ما في قلبي من شجاعة، وما في صدري من أمان.

سكت الصوت لحظات، ولكنه عاد بقوة صوت يشق القلوب، ويعتصر الروح.

***

الفرار من قدر هو القدر نفسه، فلا تفر منه لأنك ستفرٌّ إليه، استقبله برضا وكنْ مُستعدًّا جيدًا.

الجليس

أنت لا تعلم شيئًا عن الخوف يا هذا، هل تريد أن تعلم ما معنى الخوف؟ سأخبرك بمعنى الخوف حرفيًّا،إنه ما أشعر به الآن بكل تأكيد، أنا في الظلام على قيد الحياة، داخل قبر، ولكن بالدوز الثاني من عقار مهجور وسط أرض فارغة من الجيران أو من الحياة، تحيط به أرض زراعية معزولة، أظنُّ أن الليل قد حل الآن بكل تأكيد، باب موصد على من الخارج، عجوز لعين تركني في ظروف غامضة مع مصدر صوت أتاح لخيالي وخيالك الآن أن نرسم مصدره في عقولنا، وعليَّ أن أعترف أن ذلك الصوت لن يخرج من آدمي.

أطرافي ترتعد بشدة، فقدتُ النطق، وتشتت تفكيري، تمنيتُ لو أن العجوز قتلني، وتركني أفضل من هذا، أنا أشعر بأنفاس جسد مُشتعل على قرب أمتار قليلة مني، أشعر بذلك المشهد كذئب يستمتع برعب شاة على وشك الفتك بها، هو يراني، وأنا لا أرى شيئًا.

إن كنت لا تشعر بما أشعرُ فلتأتِ مكاني الآن، وأجلسُ أنا مكانك استمتع بما يقال إنه عرض جيد بالنسبة لي، ولن أُمانع بكل تأكيد.

هل أشار لي ذلك الشيء بعينه "غمز لي"؟

جميل هذا الشعور بالفعل إذا أتى من سيدة جميلة ذات عينين خضراوين، ولكن أن يأتيَ من تلك العين التي ومضت فجأة فهذا لا يبشر بالخير بتاتًا، إن صحَّ إطلاق اسم العين على ما رأيت، كانت لمحة سريعة لشيء ما برز في الظلام واختفى سريعًا مع صوت فحيح متحشرج، حسنًا عليَّ أن أتحرك برفق الآن بحثًا عن مفتاح إضاءة، لم يسمح لي ذلك العجوز اللعين حتى معرفة مكانه فقد كان سريعًا حقًّا في اتخاذ قراره غير المفهوم.

هل هذا الرجل من النوع السادي الذي يستمتع بعذاب إنسان فيحبسه مع حيوان مفترس ما،ويُهرع إلى جهاز التلفاز ليوجهه كاميرا تستطيع التصوير في الظلام لمشاهدة ما يحدث، يا له من ساديٍّ مريض حقًّا!

مرَّت دقائق، وأنا أمسح الحائط بكف يدي المتشنج، كان يبدو لي أنه لوح ثلج مُتجمِّد داخل ذلك الظلام قارس البرودة، عليك أن تشعر الآن بما أشعر به، البرودة القارسة، وسخونة جسدي المتعرق يبشران بحمى قريبة، وصوت يصدر متقطعًا كالفحيح يشطر قلبي إلى نصفين ثم يصمت.

حقًّا أتمنى أن تكون معي الآن فهذا الموقف لا يحتمله فرد وحيد ستكون ونسًا لي، وسأكون عونًا لك.

***

صوت يصدر من الفراش بقوة لجسد ثقيل جلس لتوّه عليه، التفتُ ببطء إلى مصدر الصوت، لحظات من الفزع لا تمرُّ، وقطرات من العرق أسمع صوت ارتطامها بأرض الغرفة اللعينة.

كم تمنيتُ أن أعود إلى غرفتي السابقة!

الظلام يزداد قسوة، ودرجة الحرارة أوشكت على تخطي حاجز الصفر نزولًا، تلك الومضة من جديد لعين، نعم إنها عين ذاتِ لهبٍ مُختلط بسواد في المنتصف أو هكذا خُيِّل إليّ.

هل امتلكت الشجاعة من قبل كي تواجِه مصيرك المجهول؟

لا، هكذا ظننتُ أنا أيضًا وقتها لم أمتلكها، ولكن صدر من بين ضلوعي ما لا أتوقعه صوت دفين أخلّ باتفاق الأمان معي.

مَن أنت؟ ماذا يحدث؟ أهوا هذا الهراء الآن؟.

لك أن تتخيل الآن ردة الفعل من ذلك القابع ينظر إليّ في الظلام، ويُصدر فحيحه المرعب.

نعم لقد وقف مُصدرًا رجَّه في الفراش، وظهرت عينان بدلًا من عين، وصوت يقول:

- وجب عليَّ أنا إلقاء هذا السؤال، ما هذا الهراء؟، فأنت لا تستحق مشقة انتظاري كل هذا الوقت كي تصل إليّ يا طاهر.

طاهر؟ هل نطق باسمي لتوه؟

حسنًا، أنا لم أسمع اسمي بهذه البشاعة من قبل.

الأمر لم يعد مزحة بعد الآن، ولا وجود لفرصة حتى للخروج لي من هنا في الوقت الحالي، ويبدو أن العجوز غادر بلا رجعة فصوت محرك سيارته يبتعد رويدًا رويدًا.

حسنًا، أنا لا أريد تلك الغرفة أيها العجوز أنت مُحقٌّ، أنا فشلت في المكوث داخلها لدقائق معدودة، ارجع أرجوك، حسنًا لا فائدة.

لا لن أموت، وأنا حتى لم أرَ من قتلني، أين هذا المفتاح اللعين؟

لقد جُنَّ جنوني وشردَ ذهني.

ألقيتُ بكل جسدي أمسحُ الحائط المقابل للفراش كله كي أجد المفتاح، وفجأة دوى صوت المفتاح عن يميني عدة مرات، يبدو أن جليسي بالغرفة رأى أنني أريد أن أجرب الإضاءة، ويبدو أنه أنهى على آخر آمالي في رؤية الموقف قبل دقائق من قتلي.

إن استمرَّ صوت الفحيح عدة دقائق أخرى سيكون هذا كافيًا لقتلي بالسكتة القلبية.

جاء الصوت من جديد:

– إن أردت إيذاءك لفعلت، ولكني انتظرتُ وقتًا طويلًا، حتى يعود آخر، ويستمع إلى ما سأرويه.

ما ستَرويه؟ كل هذا من أجل أن أستمع إليك؟

إذن أخبرني، وأرح قلبي، وأخرجني من هنا رجاء.

دار هذا داخل عقلي، ولم أقوَ على النطق به.

ثم جاء الرد:

– لن يكون الأمر بكلِ تلك البساطة يا طاهر، يجب أن تنصت جيدًا لأنك لو أردتَ الخروج من هنا، وروحك بين ضلوعك، سيكون عليك حمل جبل من الأسرار لم ينجح من قبلك في حمله، فانهار عليه، ودفنه في باطنه وتحت أنقاضه.

حسنًا أنا موافقك تمامًا، أنهِ ما تودُّ أن تقوله، وأخرجني من هنا قبل أن أفقد وعيي.

مهلًا مَن أنت؟ وكيف عرفت اسمي وما أفكر به؟

رده دائمًا كان جاهزًا، هذا الكيان الخفي:

– أطلق عليَّ ما تشاء من أسماء، أطلق عليَّ الجليس، أطلق عليَّ العابر لا يهم، المهم أن تعلم بما أنت مُقبِل عليه فإنك ستحمل أسرار حملتها، وفررت بها من عالمي، وتواريت داخل تلك الغرفة منذ

سنوات طوال في انتظار من يقوى على حملها، ولم ينجح أحد قبلك في هذا".

حسنًا لقد وضعني هذا الجليس في موقف لا تراجع فيه، إما أن أستمع له أو لا أسمع أي شيء بعدها.

ضع نفسك مكاني الآن أيها المستمع، وكي أشعرك بما أشعر به الآن استمع جيدًا وبحرص شديد، فمن الممكن ألَّا أحيا بعدها كي أروي قصتي كاملة.

أستند بظهري على باب الغرفة اللعينة جالسًا على الأرض، أمامي على بعد أمتار قليلة جسد مجهول يجلس على فراش يصدر ضجيجًا يستغيث به من ثقل من يحمله فوق ضلوعه التي تهشمت، صوته يؤذي أجهزتك السمعية والعقلية معًا، البرد يزيد الأمر سوءًا وتلك العينان اللتان تظهران على فترات متباعدة تحمل الكثير من الشر.

– أظنُّ أننا على وفاق الآن، ولكن قبل أن تخبرني ما تودُّ قوله أخبرني باسمك يا جليسي.

– حسنًا إن أردت معرفة اسمي الحقيقي فسأخبرك بأحد أسمائي، وبعدها ستستمع إلى ما أحمله لعالمك من أسرار، اسمي "أغراسوم بن سوميه، وشقيق عزازيل الأكبر أو ما تطلقون عليه في عالمكم إبليس، وهو في مطاردة دائمة لي من أجل حفظ سِرٍّ عالمي، هل أنت مُستعدٌّ؟.

لم يتبق في جوفي من مياه الآن لقد ابتلعتُ لساني معها على ما أظنُّ.

حسنًا، ابدأ فيما تودّ قوله يا أغراسوم، ولكن رجاء أخفض مكيف الهواء قليلًا فأنا أتجمَّد هنا.

لا أدري ما هذا هل هو ضحكة أم صراخ، ولكنه أكمل:

– أريدك أن تشاهد كل ما شاهدته، وتشعر بكل ما شعرتُ به، وستعلم أنك لم تواجه مشقةً قط طوال حياتك، ولأن عالمكم ماديٌّ، وعقلكم لا يقبل إلا بالمادة فسأوضِّح لك كل ما حدث بشيء مادي ملموس.

قالها جليسي "أغراسوم"، وهو ينظر إليّ بتلك العينين الحمراوين.

لن أخفي شعوري عنك، فأنا في كل مرة يحدثني فيها، وهو بارز العينين أشعر كأن روحي تأبى أن تمكث في جسدي وقتًا أطول، أشعرُ بموتي البطيء هنا داخل تلك الغرفة، أعلم أني سأقتل ذلك العجوز عاجلًا أم آجلًا.

أخذتُ نفسًا باردًا ملأتُ به صدري، وقلتُ:

– حسنًا يا جليسي، لِمَ الانتظار؟ ابدأ فيما تودُّ قوله لي.

هدأ صوته لثانيةٍ ظننتُ أنه غادرني فيها، ولكنه قال بصوت أعلى:

– هل ما زلتَ تتذكّر تفاصيل الغرفة؟

التفاصيل! هل سيعرضها عليَّ هو الآخر للإيجار؟ لا لن أقبل تلك المرة:

- نعم ما زلتُ أتذكَّرها شبرًا شبرًا، إنها مقبرتي على كل حال.

قال بصوت أصمَّ أذني:

- فلتتجه إلى الزاوية، وتسحب كرسي المكتب، وتديره ناحيتي، وتجلس عليه، ولتبدأ رحلتك في عالمي، ستدخل في ذكرياتي، وستعلم كيف نحيا، وستدري ما هو سري، وإمَّا أن تعود من تلك الرحلة حيًّا، وإما سأحمِلُك إلى العجوز كي يدفنك كما فعلنا مع مَن كان قبلك هنا من أناس، فكلهم قد لحق بهم عزازيل قبل أن يخرجوا بسرٍّ عالمنا إلى عالمكم، وكلهم يمكثون أسفل ذلك المنزل في قبرهم الدائم.

يدفنني؟ هذا العجوز وراءه سِرٌّ كبير هو الآخر فربما لو خرجت من هنا على قيد الحياة سوف أستدرجه، وأعلم بسره، وأدفنه كما فعل بمَن قبلي، وإن لم يكن وراءه سِرٌّ فسوف أدفنه أيضًا.

- اتفقنا يا أغراسوم، وأعِدُك أن عزازيل لن يلحق بي، وهذا ليس سببه الشجاعة بل لأنني حريص على حياتي في المستقبل.

هل ترى ما أرى الآن يا صديقي؟ هل بدأ هذا الشباك المطل على الشارع الرئيسي يُفتح؟ لا إنه ينهار ويحترق، يبدو أن هناك حريقًا هائلًا بالمنزل.

إن كنت معي الآن فسترى ما سأروي لك.. الجدار الذي يحمل الشباك يتفتت، وينهار من جراء نار قد اشتعلت من الجانب الخارجي، اللهب الأصفر الممتزج بالأزرق يتصاعد وتزداد الحرارة، إنه الجحيم قد فُتح، لقد أنتج هذا الانهيار نفقًا مشتعلًا مُظلمًا، مشهدًا مفزعًا، والأقوى تأثيرًا كان هذا الجسد العملاق الذي بدأ بالظهور لي، وهو يُشير إلى أن أتحرك في اتجاه الحفرة، أظنُّ أنه قد فَقَدَ عقله كل مَن نزل إلى هناك قبلي من الطبيعي أن يعود جثمانًا بلا حياة أو لا يعود من الأساس، إنه "أغراسوم" بكامل هيئته البشعة، وهو يُشير إليَّ بذراع طويلة أن أذهب قبله إلى الحفرة المشتعلة، وأظنُّ أن جسده أعظم من أن يدخل تلك الحفرة، حقًّا أهذا هو أول سرٍ في عالمكم أن تكونوا مشتعلين فاقدي العقل.

– فلتبدأ بالنزول إلى هناك، لقد بدأتُ للتوِّ في نقلك إلى عالمي، ولكي تشعر بما أشعرُ وتعلم بما يدور في عقلي يجب أن تدخل عالمي فعليًّا كي تترك حواسَّك تعمل داخله، فهكذا نعيش دون حديث، فقط نعلم ما يحدث ونشعرُ بمَن حولنا إذا أردنا.

قالها، وهو يدفعني بيدٍ ألهبت ظهري، ويبدو أني سأخضع لعملية تجميل بعد أن أعود بجسد قد امتلأ بالحروق.

هل توقف جهازك التنفسي "رئتاك" من قبل؟

لا، أنا أعلمُ وإلا لم تكن لتستمع لحديثي معك الآن، ولكن هذا أول ما حدث معي، فأنا لم أعد أتنفس قط، يبدو أن هذا العالم له مقومات أخرى للحياة غير التنفس والغذاء، لا شيء هنا يُشبه عالمي القديم، لا سماء هنا إنها أرضان: الأولى فوق رأسك، والثانية تحت قدمك، وهناك كيانات تسير من فوقك، ومن جانبك في كل اتجاه هائمة، أشكال غير متناسقة فلا تستطيع أن تميز شيئًا مما تراه، فقط ترى، ولا يعمل عقلك.. لا كلام ولا صوت للغوٍّ غير صوت اشتعال نيران في خشب أو ما يشبهه و أصوات تتردد في رأسك تحدّثك بلغة غير مفهومة، بصعوبة تستطيع أن تلمح عينًا أو يدًا أو حتى جسدًا ذا قوام يمرُّ سريعًا هنا أو هناك محلقًا أو يسير بسرعة، النار هي كل شيء وتظهر من اللاشيء، جبال من نار، وإذا اقتربت منها وجدتها نارًا متحجرة يمكنك السير عليها دون أن تتأذى، الغذاء هنا هو النار، إنه كعامل الماء في عالمنا، الكل يحيا به، الزمن لا وجود له أو لا حسبان للوقت هنا، فكأنك تسير من دون وقت، ولا وجود سوى للظلام الدائم المشتعل في هذا العالم، إحساس غريب ومشهد لا يوصف، ولكن كي أكون منصفًا لخيالك المادي المحدود سأقرب لك الصورة:

"أنت داخل كهف عالي الصخور غير مسطح الأرضية، لا باب خروج أو دخول، أنت هنا ولا شيء آخر، الهوام في كل مكان، أوقات ما تحدث صراعات فتشتعل نيران تأتي من كل مكان، وتسمع أصواتًا تنال من أعصابك، ولا تتركك إلا أرضًا لا تقوى على حمل جسدك، وينتهي الصراع بصيحة وصوت تألُّم ودخان أحمر أو ألوان متداخلة كثيفة معظمها أحمر اللون، ثم يعود الوضع إلى ما هو عليه.

ظللت هكذا حتى نسيت ما أتى بي إلى هنا ولا أجد "أغراسوم" في أي مكان، أنا في كابوس كبير وأنتظر مَن يصفعني على وجهي كي أفيق.

سمعتُ صوتًا بصدري يُدوي، وأنا أنظر الآن إلى "أغراسوم" وهو قادم بجسده العملاق، ووجهه البشع وعينه التي لا تعرف سوى الشر وإحداث الألم في نفس مَن ينظر إليه، وكان بجانبه كيان آخر يبدو أنه أضعف منه جسدًا، ولكنه أعلى منه مقامًا فهو يسير في المقدمة ومن خلفه "أغراسوم"، وعندما اقتربوا من مدخل كهف ما هبط عليهم من أعلى كيانات أخرى ذات أجساد عملاقة، وكان وسطهم جسد عظيم ذو وجهٍ لم أر أبشع منه، وقد أمر بقية من معه كي يمسكوا جيدًا بـــ"أغراسوم"، وأخرج هو سوط لهب ولفّه حول رأس الكيان الضعيف،وحدَّثه بكل قسوة وشدَّ على رقبته أكثر وأخرج سيفًا أسود طعنه به حتى بدأ الجسد بالتبخر وهو يصيح مُتألمًا حتى انتهى كأنه لم يعد موجودًا، حاول "أغراسوم" الفكاك والانتقام من هذا الكيان الشيطاني الذي قتل أحدًا يبدو أنه قريب أو مهمٌّ لـــ"أغراسوم"، ولكنه كان مُقيَّدًا بقوة، أنا لا أعي ولا أستوعب ما حدث للتو، هل أنا الآن في عداد الموتى في هذا العالم؟ لقد أسرَ الذي كان بمقدوره أن يُخرجني من هنا كما أدخلني، ما الذي أتى بي إلى ذلك البلد الملعون، واخترتُ به أكثر بيتٍ وغرفةٍ ملعونين.

نظر إليّ "أغراسوم" المُقيَّد وبدا صوته يُدوي داخل عقلي قائلًا:

– لم تكن هذه البداية، ولكن كان هذا الحدث نقطة تحوُّل في عالمي، ما رأيته للتوِّ كان "عزازيل" يقتل معلمي ومعلمة "قمداي" وحامل وصايا الأب الأول "سوميه" حتى يستطيع أن يحمل كل قبائل عالمنا على طاعته، وقد أُسرت أنا في ذلك الوقت داخل أقوى سجون الجان وأشدها، ولكي تعلم: لَم حدث كل هذا وما أسبابه؟ فسوف نعودُ إلى الوراء بعض السنين، بل قبل أن يُخلق جنسكم وأبوكم "آدم" ولن تتعجب مما ستراه الآن بعد أن تعلم ما هو سر عالمنا في نهاية تلك الرحلة يا طاهر، فلتكن على قدر المسؤولية، ولتكن على قدر ما أنت مُقبل عليه فلا رجوع الآن.

حسنًا، أنا بدأت أشكُّ الآن لِمَ أتتني تلك التأشيرة وتم قبول طلب هجرتي إلى ذلك البلد "أستراليا" في ذلك الوقت بالذات، أظنُّ أن الأمر كان مُدبرًا لي مِن قبل عالمٍ لا يمتُّ بأي صلةٍ إلى عالمي، إنه شَرَكٌ وقد وقعتُ به.

***

يكمن السِّرُّ في جوف التاريخ المُحرَّف البائد، امسح ذلك الغبار جيدًا من فوقه وانظر بتمعُّن، وستجد ما تسأل عنه أو ما نسيتَ أن تسأل عنه يومًا.

مملكة الأرض

قد أظلمَ هذا العالم تمامًا أمام ناظري الان، ولكن هناك مَن يحملني ويسير بي مسرعًا وسط الظلام الدامس، الشعور في ذلك العالم غريبٌ للغاية؛ فأنت متصل بكل شيء، بل بكل كيان داخل هذا العالم، أنت غير مُقيَّد بشيءٍ، لا وجود لقواعد هنا لتسير عليها ولن أفهم أو أشرح لك أكثر من ذلك فقط أشارِكُك شُعوري الغريب.

أنا أقِفُ الآن على صخرة مرتفعة سوداء ممتزجة بلون أحمر يسري بداخلها كأنها حُمم بركانية على وشك الخروج من باطن ذلك الحجر، أو شرايين من الدماء على وشك الانفجار، هناك أحد يُشبههُ "أكثر" ولكنه أصغر منه سنًا فيبدو شابًا، لا تتعجب من هذا، فلو كنتَ مكاني لاستطعتَ أن تميِّزَ بين أشكالهم الآن، هو يستلُّ سيفًا فِضي اللون ويرتدي زيًّا فضيًّا يبرز منه قوته الجسدية، وهناك على الطرف الآخر يبدو أن أحدًا يرتدى زيًّا أسود ويستلُّ سيفًا أسود ويبدو أنه يمتاز بقوة جسدية هو الآخر.

مهلًا، أعلم أني رأيت شبيهًا لهذا الآخر من قبل، يقترب بعضهم مِن بعضٍ الآن، يبدو أنها مبارزة من نوع ما، برزت الأجنحة من خلف الملابس، حقًّا! يستطيعون الطيران، يبدو أننا على وشك رؤية صراع أسطوري بين كيانات من عالم آخر، وصل صاحب الرداء الفضي أمام مبارزة وتبادلا النظرات الحادة، أظنُّ أنها مبارزة تحدٍّ.

التفت الاثنان فجأة، ونظرا في اتجاه واحد، إنه أحدٌ يجلس فوق عرش مهيب منقوش عليه بعض الأشكال العجيبة، ولكنني ميَّزت وجهه الآن إنه ذلك الحكيم "قمداي"، ولكنه أصغر سنًّا الآن، يشير إليهم وتبدأ الملحمة، فَرَدَ الاثنان أجنحتهما الضخمة، والتحما بالسيوف، حقًّا هذا ما أسمية قتالًا، الشرر يتطاير من السيوف، ومن العيون، أصوات الصراخ تزداد والتحدي أصبح أقوى، تحولت من معركة على الأرض إلى معركة في السماء.

لحظة، من أين أتت هذه السماء! نعم إنها سماء ولكنها سوداء صافية تمامًا، اجتمع أكثر من ألف كيان يشاهد ذلك الصراع، وكل منهم يصيح داخل عقلي معظمهم يقول:

– أكثر.

ويشجعه، وبعضهم ينادي باسم غريب على مسمعي:

– لوسفير.

الذي ما إن يسمع اسمه يتحوَّل جسده إلى نار ويتضخَّم ويحارب بضراوة ومهارة لا مثيل لهما.

أحقًّا هذا "أكثر" في شبابه؟إنه مقاتل ماهر،ازداد النشاط والصراع بين الاثنين، حطما الصخور والكهوف، صعدا إلى السماء وبسرعة مهولة ارتطما بالأرض، القوة متساوية والمهارات متقاربة، استمر الوضع حتى ظننتُ أنها حرب أبدية، لولا أن انقضَّ "أكثر" على "لوسفير" بعد أن أطاح بسيفه إلى السماء،الشيء الذي منح "لوسفير" الأفضلية فتفادى "أكثر" ووضع السيف على صدره وفي سرعة كبيرة دار "أكثر" حول "لوسفير" واستقبل سيفه العائد من السماء ووضعه على ظهر "لوسفير" وأجلسه أرضًا دلالة على هزيمته، الأمر الذي أغضب "لوسفير" واشتعل له جسده أكثر، وقف "قمداي" وأخبرهم أن الاختبار قد انتهى بنفس نتيجة كلِ مُنافسة مضت، انتصار "أكثر" وأحقية بتولي أمور القبيلة للفترة القادمة، إذًا هكذا كانت تسير الأمور، مبارزة طويلة كل فترة كي يتولى أحدهم أمور قبيلة.

نظر "لوسفير" إلى "أكثر" وحدَّثه بالطريقة نفسها التي لا داعي لوصفها من جديد، وبالطبع كل مَن في هذا العالم قد سَمِعَ الحديث:

– أنت أخي الأكبر، ولكنك لست الأشجع، فدائمًا ما تكون لك حيل لهزيمتي في كل مرة.

لا أعلمُ، هل هذا التغير في وجهة "أكثر" البشع ابتسامة أم ماذا؟ ولكنه تغيَّر على كل حال، وبعدها قال:

- أنت لا تكترث إلا لشعورك بالعزة والكبرياء، وتعتمد على قوتك وشجاعتك فقط، ولن تستطيع هزيمتي، بتلك الصفات فقط يا اخي الأصغر.

أظنُّ أنه لم يتقبل الهزيمة فطار بعيدًا مخترقًا السماء في غضب واشتعال وصيحة مفزعة، نظر إلى "أكثر" وحدثني:

- كان هذا قبل الكثير من الأعوام التي تحسبونها في عالمكم، كان هذا عالمي قبل ان تخلقوا وتهبطوا إلى الأرض، ويكون مصيرنا أن نعيش تحت حجاب يستركم عنا ويستر عالمكم عنا كما شاهدت، والآن لننتقل إلى مكان آخر ووقت آخر، وقت دوت فيه الكارثة في عالمنا وكثر فيه الكفر، وقت موت أبينا "سوميه.

لقد أظلمت من جديدٍ، وأفقت على حرارة عالية، كاد أن يذوب جسدي لها، الصوت صاخب للغاية لا يحتمل عقلي أن يستوعب سوى أصوات النحيب الحاد، أنا أشعر بالغضب في صدر كل من أنظر إليه، يبدو أن أمرًا جللًا قد حدث في هذا العالم، كل الأجساد التي أراها مشتعلة غاضبة، العديد من الشجارات غير المسببة تحدث وتنتهي بمقتل الكثير، الكل غاضب هنا.

"أكثر" يقف بوجهه مشتعلًا أمام "قمداي" الذي اجتمع أمامه عدد لا يُحصى من كيانات شبيهة وغير شبيهة بـ"أكثر"، أظنُّ أنهم قبائل عالم الجن بكل أشكالهم طوائفهم، اشتعل جسد "قمداي" وحدَّثهم:

– لقد غادرنا الأب "سوميه" بعد ان ترك لنا قواعد وقوانين نحيا بها دون صراعات،وسيتقدم كل من هو مُؤهَّل من قبيلة لخوض اختبار الحكم كما عهدنا.

ازدادت الجلبة وكثُر الصخب وقال الكثيرون:

– سيفوز بها قبيلة "أكثر" لانهم أشد وأقوى أنواع الطيارين، لن نقبل بذلك، فهم أعدادهم قليلة بالنسبة لنا، ولن يحكم القليل الكثير أبدًا.

– ومن هنا يا طاهر بدأت المصائب، ومن هنا بدأت نهاية حكمنا على الأرض بالاقتراب، لقد اشتعل العالم، وسفك الدم، وكفر الجن معظمهم، وأُبيدت أنواع كاملة وقبائل، لم يرحم كبير صغيرًا، ولا شابٌّ عجوزًا، الكل اشتعل وأحرق ما استطاع إحراقه، لقد كانت كارثة، أنهت على كل آمالنا، لقد كان لموت أبينا "سوميه" مفعولُ النهاية لعالم الجن وبداية لانتهاء خلافتنا على الأرض،استمر هذا الأمر بلا توقُّف، حتى أتانا من كانوا منا في السماء مذعورين وأخبرونا، أن هناك جيشًا من السماء قد أُعدَّ وها هو قادم كي يُبدينا جميعًا، هنا توحدنا وظن معظمنا أنه يمكننا مواجهة جيش أتى من السماء جيش من "الملائكة" أتى كي ينتزع منا خلافتنا على الأرض تمهيدًا لخليفة جديد.

في ذلك الوقت لم تكن الأرض ممهدة لخليفة جديد، خليفة من دون معاصٍ، طاهر من كل ذنب، لم تكن هناك فرصة للخليفة الحالي كي يمكث أكثر من هذا، كل قبائل الجان مذنبة عاصية، إلا قليل، لم يكن المؤمن بالله سوى القليل الذين اعتزلوا الجميع وسكنوا باطن كهف يتعبدون فيه لله، الكِبر والغِل والنار المشتعلة في نفوس كل نفر من الجان، الدماء سُفكت والقتل كثُر وعندما جاء الخبر الأكيد لغزو من جيش السماء تكاتف الجميع ليس للمودة فليس هناك خير ما زال موجودًا في نفوسهم بعد الآن، بل كان للكبرياء، فهم أحق بخلافة الأرض ممن سيأتي به جيش السماء، ظنوا أنهم إله الأرض والأحق بها، تعاهَدَ ملوك قبائل الجان وقتها على تكوين جيش قوي وتحت لواء ملك واحد هو أقواهم وقتها، وكان حاكمًا لقبيلة من أشدِّ أنواع الجان "دفران"، لم يكن على وجه الأرض أقسى قلبًا من هذا المارد العاصي، استطاع وفي وقت قليل أن يُوحِّد القبائل تحت إمرته، ومَن كان يعترض كان يفتك به، وبعث سراياهُ لتُحلِّق كي يعلم في أي وقت سيكون الهجوم من جيش السماء "الملائكة"، فلم يَعُدْ منهم أحد، فعلمَ أنهم على مشارف سماء الأرض الآن، وتأهب الجميع وتسلح ظنًّا منهم أنهم يستطيعون ردع أمر أتى من الملك الحقيقي لكل شيء، ولكن عمَّت نفوسهم، وازداد كبِرهم وكُفرهم، وبدأت الملحمة الكبرى في تاريخ الأرض بين جيش من نور وجيش من نار، لم يكن مقدرًا للجان حتى أن يستل أحدهم سيفًا واحدًا، فمن كان يفعل

يقتل في لحظات، كانت الهزيمة منكرة ولم يكن في بمقدور أقواهم أن يتغلب على ملاك كريم، قُتل الكثير أُبيدت قبائل كاملة، وظهر شاب من وسط القبائل لم يرتعد كما حدث لكل الجان بما فيهم "دفران" الذي ظل يصيح حتى قُتل شر قتلة، ذلك الشاب أعلمه جيدًا، إنه كان "لوسفير"، يستلُّ سيفه الأسود ويسير بثقة بين الملائكة ولم يهتز له طرف من هول ما يراه، هاجمه أحد الملائكة وأظهر شجاعة وقوة لم يتملكها أحد غيره من بني جنسه في ذلك اليوم،حتى تغلب عليه الملاك وأوشك أن يقتله لولا أوقفه أمر أحد من قادة الجيش الملائكي وقتها وأمره أن يأسره ويصعد به إلى السماء في الحال للنظر في أمر هذا الجان المميز.

ظل الجيش الملائكي يطارد كل قبائل الجان إلى أعالي الجبال وشتات الجزر، وتوارى مَن توارى بين الأرض والثرى وطار من طار إلى أعالي الجبال واحتمى في كهوفها، لقد تم الأمر على أكمل وجه، لقد كلفهم الملك بتمهيد الأرض لخليفة جديد وعزل الخليفة الحالي وهو "الجان"، وقد تم هذا الأمر من ملائكة كرام لا يعصون للملك أمرًا.

أنا لا أصدق ما رأيته للتوِّ، وأظنُّ أنك أنت أيضًا تشعر بهذا الشعور معي، أنا لم أرَ ملاكًا من قبل ولا أنت، ولكنهم كائنات نورانية، وأقصدُ بذلك أنهم نور مُشعٌّ لا تُميِّز لهم وجوهًا ولكن تميز لهم جسدًا وهيئة، إلا أنهم شداد في الحق وأقوياء لدرجة مهولة فلا

سبيل لهزيمة واحد منهم ولو اجتمع عليه كل قبائل الجان، لهم أجنحة من نور جميلة المنظر، تختلف أعداد الأجنحة من ملاك لآخر، حتى إن قلبك يتعلق بجماله قبل عينك، حدث ما حدث وهدأت الأرض، وأمطرت السماء لتخمد النيران المشتعلة في كل أنحائها ونبتت الأرض وأخرجت شجرًا ونخيلًا، مهدت الجبال لتساوي الأرض إلا القليل منها شاهق الارتفاع، ولأول مرة تشرق الشمس لتمحو الظلام وتُبدِّده متخللة كل ركن على وجه الأرض، لم أسمع وقتها سوى لغو خافت الصوت، وعلى فترات بعيدة لعدة أنفار من الجان يرتعدون في كهوفهم ويُحدِّث بعضهم بعضًا أنهم لم يكونوا على حقٍّ فيما فعلوا وقد عُوقبوا شر عقاب، وبعد فترة زاد الحديث عن "الجان" الذي أسر فلم يُبد غيرة شجاعة أمام ملاك كما حدث مع هذا الشاب "لوسفير" أحبوه بشدة، نعم أحبوه واقتدوا به وتمنوا أن يعود إليهم بعد أسرِه.

أعلمُ أن الفضول يأخذك لكي تصعد معي إلى أعلى كي نرى ماذا حَلّ بـــ"لوسفير" وما سبب أسرِه وعدم قتلِه، لكن أنا لم أرَ جليسي حتى الآن لم أرَ "أكثر" ويبدو أنه لم يشارك من الأساس في المعركة، أظنُّ أنه برفقة الحكيم "قمداي" الآن، إنه برفقة المؤمنين من الجان في باطن إحدى تلك الكهوف السحيقة، ويبدو أنهم علموا بما حل ببني جنسهم أو كانوا يعلمون ما سيحدث في تلك الحرب من البداية.

أظلمت من جديد، وهأنا في باطن أحد الكهوف السحيقة، ولكني أستمعُ إلى أصوات قاسية تتحدث عمَّا سيحدث بعد الآن، ومَن هو الخليفة الجديد الذي تم تمهيد الأرض لنزوله كي ينتشر في أرجائها

كما حدث مع الجان من قبل، أنا أرى الآن "أكثر" يجلس بهدوء مواجها لـــ"قمداي" الذي بدا على وجهه الغضب، وبدأت أعداد تتوافد، فمنهم من يظهر من العدم، ومنهم من يهبط من فوهات أعلى الكهف، ومنهم مَن يبرز من الأرض حتى جلسوا جميعًا وأحاطوا بـــ"قمداي" الذي ظهر الحزن على وجهه وقال للجمع:

- لقد كتب علينا من الآن أن نحيا داخل حجاب لا نغادره كما نبأنا به أبونا "سوميه"، لقد انتهى عهدنا على الأرض، وانتهت خلافتنا التي دامت سنين طويلة، وانتهت بسفك الدماء والكفر لكثير من بني جنسنا، أعلم الآن أن كل من هم معي في ذلك الكهف مؤمنون، ولذلك سنعمل على نشر الإيمان مرة أخرى، كل منكم يذهب الآن ويبحث عن قبيلة ويُذكِّرهم بالله، وأن ما حدث حدث لأننا كفرنا به، وأخبروهم ان هناك خليفة جديدًا سيتزل إلى الأرض قريبًا، ولن يكون لنا شأن به ولا قوة، فقد انتهى عصر الجان، وبدا عصر جديد لخليفة جديد قد أعدَّ الملك له كل هذا التغير، ولنظلّ نحن كما نحن بعيدًا عن الأنظار وبعيدًا عن الأعين، يجب أن نظل خلف حجابنا ومَن يخرج فقد ضل وسيُعاقب بالطرد والنبذ من مجلسنا هذا ويلقى عقابه.

بعد كل تلك الكلمات نظر إلى "أكثر" بعين قد خفُت ضيُّها وظهر عليها الحزن رغم قسوها وحدها، وحدثني:

- لقد رأيت ما حدث بعينيك، وشعرت بكل آلامي وغضبي ولكنك تعلم الآن مَن أنا وما آلت إليه الأمور إلى بني جنسنا، لقد كُتب علينا أن نتوارى ونظل في الظلام، لقد تغيَّر العالم كما رأيت،

ظهرت الشمس وأمطرت السماء، وأنبتت الأرض كما لم نعهد في عالمنا من قبل، لقد مهد العالم الآن يا طاهر لجنس جديد، قادم بلا أخطاء أو ذنوب جنس جديد طاهر سيأخذ فرصة كما أخذنا فرصتنا، وسترى بنفسك كل شيء.

- لا تقل لي إنها أظلمت من جديد يا "أكثر"، ألم يكفِ ما شاهدته، أنا بدأت أشعر أن الحمل بدأ يثقل على كاهلي كما أخبرتني من قبل، يبدو أنه لم يكن يمزح بقولة إن مَن قبلي لم يتحمل وهلك، لن أكون أنا مثل الضحايا من قبلي، لن أموت قبل أن أقتل هذا العجوز الذي وضعني في هذا الأمر، وفي تلك الغرفة اللعينة، حسنًا يا أكثر انتقل بي إلى ما تودُّ أن تُريني بعد هذا فأنا مُستعدٌّ.

ما هذا النور العظيم، عيناي لا تستطيعان تحمُّل كل هذا النور الساطع، ما هذا الشعور الجديد المريح، ما أروع ما أنظر إليه الآن، لا، لا تقل لي إنني في السماء الآن وأنظر إلى!

***

ما رأيت ولكن بصرت، فالقلب يبصر ما لا تبصره العينان، وهو أصدق.

أسطورة السماء

انظر معي إلى ذلك المكان الفضاء، إلى كل ما يحيط بك الآن من بهجة وسرور، إنه مكان تنتمي إليه الروح وتلقى سعادتها هنا، بينما الجسد فمكانه الأرض فليهبط، ويتركني هنا أستمتع بما أنا فيه، وبما إن الجسد هبط إلى الأرض وترك روحي فقد أخذ معه اللسان الذي أستطيع التحدث به وترك روحي هنا للشعور فقط، هنا كل شيء جميل هادئ، ولكي أكون مُنصفًا وتشعر معي جيدًا بالراحة كما شعرتَ معي بالخوف والإرهاق سأقرب لك ما أشعرُ به الآن، لا وجود لما يُسمى بالوزن أو الحواجز، فكلما أردتَ التحرك تحركت دون حدود أو إرهاق، ما تراه يفوق النور المعتاد الذي يضرُّ العين من إطالة النظر إليه، كُل مَن هنا ذو وجهٍ كريم، لا وجود للضغينة أو الكراهية، الكل مُكلَّف بعمل جليل يقوم به دون كلل أو ملل أو حتى اعتراض، إنه عالم نقي طاهر لا ينتمي لذلك العالم الذي كنت فيه على الأرض ولا يشبهه.

أين "أكثر" أنا لا أراه؟ لقد نسيت أمره بعد أن رأيت كل هذا.

صوته يأتي إلى الآن من بعيد كأنه مكتوم في جوف الأرض:

– أنا لا أستطيع أن أكون معك الآن في مكانك، لأننا قد حرَّم علينا هذا منذ زمن ليس بالقريب، فمكاننا الأرض وبعد تلك الحرب لا نقوى على الوصول لهناك، ولكنك أنت بإمكانك أن تسير بروحك إلى هناك وترى ما حدث قبل خلقك.

– لو لم أكن هنا بنفسي، وسمعت منك ذلك الكلام لكان قولي إنك مجنون تقول شيئًا لا يصدقه عقل طفل صغير، ولكن نحن هنا ووسط ذلك الأمر فلنكمله للنهاية على كل حال، سأذهب وأتفقد كل هذا العالم الشاسع البهيج لعلي أجد ذلك السر الذي أريد حقًّا أن أعلمه بكل جوارحي.

هناك عدد كبير من الأجسام البيضاء المضيئة تحيط بجسد مسلسل يبدو بشعًا وغير مألوف لذلك العالم الجميل، جسد أسود به بعض الاحمرار مُقيَّد ومُسلسَل،لكنه يقف بشموخ كأنه سيدهم وليس أسيرا لديهم، جسد قوي يحمل رأسًا بشعًا ولكنه متفاخر يحوي عيون ثاقبة واثقة، جسد يعتبر ضئيلًا مقارنة بأجساد هؤلاء لكنه يحوي روحًا تأبى إلا الخضوع أو الخوف، يرسل إليهم نظرات حاقدة متوعدًا كلًّا منهم بالانتقام وهو في موقف لا يسعه سوى التوسل كي يُنْهُوا حياته برحمة وبسرعة من غير تعذيب أو ألم.

أنت هنا لا تسمع صوتًا أيضًا يقال ولكنك تشعر به في رأسك، يبدو أننا فقط من نتحدث عن طريق أفواهنا لذلك لا نفعل من كثرة الحديث.

أحدهم قال:

– هل أتى خبر يحدد أمر ذلك الأسير؟

نظر الجميع إلى من هو مقيد وسأله أحدهم:

– ما اسمك يا هذا؟

نظر لهم في فخر وعزة يحاول أن يتحرر من قيوده وقال:

– إبليس ولي أسماء كثيرة في بني جنسي لكل اسم معنًى ولكل اسم قصة أعظم شأنًا من سابقتها.

في ذلك الوقت كان هناك نور قادمٌ، وكل الحاضرين يفسحون له المجال للعبور في احترام ووقار وعندما وصل أمام "إبليس" نظر له في حيرة وقال:

– سوف تمكث هنا لبعض الوقت كي تعلم الحقيقة التي غابت عن عالمك وكفر بعدها قومك وسيكون بعد ذلك لك حرية الاختيار، إما المكوث هنا والصلاح، وإما النزول إلى الأرض والفساد بعدها كما كان قومك وجنسك يفعلون.

بعد لحظات تساقطت السلاسل أرضًا من حول جسد "إبليس" الذي ما إن سقطت من عليه فرد جناحيه العظام وحلّق عاليًا ثم غادر السماء في اتجاهه إلى الأرض، وعينه كلها انتقام وكُره للسماء، لكنه توقّف لحظات وأخذ يفكر وبعدها قرر العودة مرة أخرى إلى السماء مسرعًا ووقف بين الملائكة وقال:

– أعلموني الحقيقة، أنا أودُّ أن أعلمها كاملة.

مرت أوقات لا أُحصيها هل هي ساعات أم أيام، ولكنها كانت كافية لرؤية تلك النفس المشتعلة تهدأ وتتبدل من الكفر إلى الإيمان بل من الشر إلى الخير، لقد تعبَّد أوقاتًا طويلة وأخذ يتدرج في مراتب الاتقياء حتى وصل إلى إلى الأماكن، ومع مرور الوقت عاد إلى قومه ليحثهم على عبادة الملك واتقائه في جميع أعمالهم، فأوقف الكثير من الحروب بقوة إيمانه وقوة أخرى كامنة بين جسده الناري، فما كان لأحد أن يتجرأ على مخالفة "إبليس" الذي اصطفى الملائكة اسم ملائكي له وتبدل ليكون اسمه "عزازيل" وفي أوقات أخرى ب"خازن الجان" أي الملاك المتحكم بالجان وشؤنهم، الأمر الذي فَرِحَ من أجله "عزازيل"، ولكن تلك النفس لا يفرحها فرحٌ ولا يكفيها عِزٌّ، فقد تعمَّق أكثر وتفقَّه أكثر حتى أصبح "طاووس للملائكة" أي إن مكانته تحولت من جان إلى ملاك مميز، أخذ اسمًا ملائكيًّا ومكانة ملائكية في وقت قصير، وتقرب أكثر من الملك بكل الوسائل الخيرة، حتى أن أحدًا من الجان عندما سأله:

- أأنت أقرب مخلوق على الأرض للملك؟" قال وفي عينة العزة والكبرياء: "نعم، فأنا لم أترك على الأرض شبرًا إلا وسجدتِ فيه للملك، فكيف لا أكون أعبد أهل الأرض وأكثرهم علمًا وقُربًا من الملك، فأنا عزازيل.

بدأت تتضح أمامي المعاني جلية لكل شيء، إنه تحوَّل من جان مارد إلى ملاك أمين ومن ملاك عظيم ها هو في طريقة إلى السقوط مرة أخرى إلى الهاوية، ولكن تلك المرة لم تكن هاوية يستطيع الرجوع منها، إنها هاوية اللارجوع وقد قبل بهذا، أي نفسٍ هذه؟

مكان اعتاد أهل السماء على ارتياده دائمًا، مكان مميز يكون به كل جديد سيحدث، مكان يكتب فيه أقدار الخلق، ويعرض على أهل السماء في كل يوم، يسبقهم إلى ذلك المكان كل يوم "عزازيل" فيقف ويحاول فهم ما يكتب بتلك اللغة الغريبة عنه، تقرَّب أكثر من الملائكة وأصبح يلازمهم وقد أحبوه على طاعة، فهم مخلوقات نورانية صالحة لا تعصى الملك شيئًا، علَّموه حتى أجاد ما يتعلمون وما يعلمون حتى صار هو مَن يعُلِّمهم بل يسألونه أحيانًا، هو ماهر حقًا في كل شيء قام به، ولكنه لم يكن يعي ما تُمليه عليه نفسه دائمًا وهو التكبُّر سيكون بداية نهايته.

جاء يوم لم يكن لأيٍّ من أهل السماء علمٌ أنه سيأتي، ولم يكتب في المكان المخصص بالأقدار أن هناك خلقًا جديدًا سيخلق، التفَّ الجميع

حول جسد ممدد على ظهرة لونه غريب وهيئته أغرب، لا حركة له فهو ساكن تمامًا، تساءل الجميع عن ماهيته، ولم يستطع أحد أن يقترب منه، تعدى "عزازيل" الجميعَ وتخطى الصفوف وقد أفسحوا له كي يتفقد الوضع ويخبرهم كما يفعل دائمًا.

اشتعلت جمرة في جوف "عزازيل" فور أن رأى ذلك الجسد ممددًا على ظهره غير مُحدث حركةً، لكنه أحسَّ فيه بنوع من الجمال، هيئة لم يرَ مثلها، ولكنها هيئة أحسن في الخلق من كل المخلوقات، اقترب منه وركله بقدمه عدة مرات، فلم يصدر منه صوت ولا حركة، وبعد وقت قصير ذهب الجميع إلى ما كلفوا بهم ولم يبقَ سوى إبليس الذي مكث ينظر إلى ذلك الجسد الطيني الفخاري بكل غلٍّ وتقزُّز، قرَّر أن يتفحصه من الداخل فغيَّر من هيئته ودخل إلى باطن الجسد وغادره مرة أخرى، لقد وجده أجوف فتعجب، لم يرَ خلقًا أجوف من الداخل أبدًا، إنه كبيتٍ فارغٍ من الداخل، تساءل في عقله عمَّا سيوضع داخل هذا الجسد الخاوي جميل الخِلقة ومتناسق الهيئة، اشتعل جسده أكثر وقال:

- إنك خُلقتَ لشيء عظيم ولئن سُلطتُ عليك لأهلكنَّك يا هذا.

- هل استوعبتَ ما حدث؟ إن كنت لم تلحظ فسأخبرك، هذا جسد أبينا "آدم" قبل أن يكون به روح، ولقد رأى فيه "عزازيل" كل

مواصفات الجمال في الهيئة والتناسق وكرهه قبل أن يعرف من هو وما اسمه وما سبب خلقه، لقد كرهه فور رؤيته.

اليوم هرولت فور سماع صوت اضطراب بين الموجودين أمام الألواح المكتوب عليها بلغة لم أفهمها، ولكن شرح ما بها "عزازيل" بتباهٍ قائلًا:

- سوف يطرد من رحمة الملك عبد مُقرَّب ويُلعن.

أنا لم أرَ خوفًا في نفوس، ولا وجوه تلك المخلوقات سوى تلك المرة، ولم أرَ تباهيًا ل"عزازيل" الذي يسير الآن مطمئنًا أنه بالتأكيد عبد عاصٍ مستتر بيننا، أكثر من تلك المرة.

جاء الأمر أن يسجد كل من بالسماء إلى الجسد الطيني الذي سُمي "آدم" فور أن ينفخ الملك فيه من روحه ويفيق، لم يكن لأيٍّ من الملائكة أن تعصي أمر الملك، ولكن كان هناك واحد فقط ينعم بالاختيار دائمًا في كل شيء، الاختيار الذي قربه من الملك ونعمَّه والاختيار الذي سيلعنه بعد وقت قليل، الكل كان همه أن يطيع خائفًا خاشعًا إلا "عزازيل" كان ينتظر أن يرى مَن سيعصي الأمر وسيُطرد، وعندما حانت اللحظة وأفاق "آدم" محدثًا صوتًا تسارَعَ الجميع إلى السجود، وظَلَّ هناك واحد يقف كأنه نخلة في جوف الصحراء، نظر "عزازيل" ليجد مَن لم يسجد، وعصى الأمر فلم يجد أحد سواه يقف والكل ساجد، همَّ أن يسجد، ولكنه نظر إلى الجسد

الطيني الذي تحوَّل إلى جسد يشعُّ بجمال وعظمة والكل ساجد أمامه، أتذكرون تلك الجمرة التي اشتعلت بجسده أول مرة؟ ظنَّ ذلك، نعم هي لقد اشتعلت بجسده كله الآن، وهبطَ عنه رداء الإيمان والطاعة وظهر شيطانه الكامن وسط ناره وأبى أن يسجد لما خلق الملك.

ما إن تلاقت عين "آدم" بعين "عزازيل" إلّا وقد عزم الأخير على فناء "آدم" والتخلص منه، لقد أحسَّ أنه لعنته ومصيبته، وكرَّس كل جهده وقوته ضد هذا المخلوق الطيني الجديد، وبالفعل طُرد "إبليس" من السماء التي كانت بها الألواح إلى السماء الدنيا وحرَّم عليه الصعود.

بمرور الوقت سكن "آدم" مسكن "عزازيل" في السماء العليا وعندما وصل الخبر إلى "عزازيل" استشاط غضبًا وازداد كُرهًا وقال:

– لقد أخذ مسكني.

وتوالت الأحداث، وقد علم الملك "آدم" الأسماء كلها، أي العلوم كلها، وأسماء الأشياء كلها وصفاها وأهدافها وفائدها والغاية من خلقها، وبسبب ذلك العلم الغزير اتجهت الملائكة وأهل السماء إلى "آدم" كي تتعلم منه كيفية التقرب إلى الملك والعبادة و معاني كل شيء وأسمائها، وانقطعوا عن إبليس حتى في السماء الدنيا لم يكن يأتي إليه أحد، وعندما علم السبب اشتعل أكثر وقال: "لقد أخذَ عِزتي ومكانتي" وحثّته نفسه الكريهة على استعادة مُلكه الذي نسبه لنفسه وإن لم يستطع فليُذهبه عن "آدم".

أظنُّ أن "عزازيل" الآن يقف أمام باب السماء بطريقة لاعب شهير سيُسدِّد ركلة جزاء، وأنا لا أمزح فهو يضع يديه الاثنتين على وسطه وفي عينيه الحمراوين تركيز كبير وعميق، لقد أخذ قرار التسديد وهو ماهر حقًّا.

***

كِبر زادَ على عِزٍّ فأضحى العزُّ حقدًا، والحقد كان دافعه الوحيد.

اللعن

هل رأيت الحية من قبل؟ "لا لم تَرَها قط".

ليست التي ببالك تزحف على بطنها اعتمادًا على عضلاتها الجبارة وتُدافع عن نفسها بها وتُهاجم بأنيابها المسمومة، فهي لم تكن بذلك الشكل فيما مضى، فإن ما تقف أمامي الآن وأراها وأنت تراها جيدًا معي تتمتع بقوة هائلة ومقومات أعظم من العضلات والأنياب المسمومة.

جسد عملاق مستند على عدة أرجل هي تتلون بين عدة ألوان ولكنها دائمًا ما تكون بيضاء ناصعة تشعُّ نورًا، تجلس أمام باب أخضر كبير تحرسه في كل وقتٍ فلا يستطيع أحد الدخول أو الخروج إلا بالمرور عليها وبإذنها، أجنحة عملاقة ووجهه ضخم يتدلى منه بعض الأهداب المتطايرة، صوتها كالرعد ذو فحيح يرهب، وعينها تصدر شررًا أزرق كالبرق الخاطف، خطواتها سريعة ومدروسة، هي

الآن تجلس بحزن شديد على صديقها القديم "عزازييل" الذي لا يمكنه العودة لبيتة الذي كانت تحرسه هي دائمًا والآن أصبحت تحرس ساكنه الجديد "آدم" الذي مقتته دون سببٍ، ولكنها ترى فيه الطيبة والحكمة والعلم الوفير، ودائمًا ما كانت تحدث نفسها: "لِمَ أكرهُ آدم وأمقتُه بلا سبب واضح، أنا لا أجد في نفسي سوى أنه أخرج عزازيل من بيته وحلّ مكانه، ولكنه خلقٌ طيب السيرة والممشى".

أترى الآن كيف هي تسير بتلك الطريقة المهيبة؟ طريقة الأسد المهموم الذي يعدو ذهابًا وإيابًا وعلى وجهه الغضب، إنها تدبِّر لأمر ما ولكنها سرعان ما تطير مبتعدة عن أنظارنا إلى أعالي السماء ثم تهبط بقوة وتفعل كما كانت تفعله، تجلس أمام الباب العظيم.

جسد قوي مفترش الأرض تحت شجرة عظيمة لها ثمر غريب الشكل، ولكنه جميل الهيئة والرائحة، يبدو أنه نائم الآن، وهناك ما يقلقه بل يؤلمه، لكنه لم يكن يقظًا كي يشعر بما يحدث الآن، ونراه معًا، ضلع أعوج بدأ بالخروج من جسده يتلوّي ويتشكّل، لو كان يقظًا الآن هذا الرجل لصرخ من الألم أو لفارَقَ الحياة، الضلعُ انفصل بالكامل عن جسده وبدأ بالتشكل، هل تصدق ما نراهُ الآن؟ لقد خرجت أطرافٌ، وضخم هيئته، وسرعان ما تحوَّل إلى جسد كامل متكامل الأجزاء، إنه أصبح الآن جسدًا يُشبهه كثيرًا ذلك الجسد النائم، والآن سكن وهدأ من قلقه، ولكنه يفوقه جمالًا وأخذ ينظر إلى النائم في تعجبٍ وحنان فطري.

بعد مرور وقت قليل أفاقَ النائم من غفوته وتفاجأ بمن أصبح معه بجانبه، ويسكن معه في مسكنه، بل يشبههُ جدًّا كأنه منة، أحسَّ بودٍّ وبدآ بالاقتراب والتحدث، ومع الوقت أصبحا متلازمين لا يفارقان بعضهما البعض أبدًا كأنه قَدَرٌ.

أتدري مَن النائم هناك الآن ومَن الذي بجانبه؟ أظن أنك علمت الآن أن هذا كان "آدم" وخرجت من جسده "حواء" لتكون له دفئًا ورفقةً وتكون له سكنًا وأمانًا.

ذاع الخبر في أركان السماء، وكان هذا فريدًا في ذلك العالم المختلف تمامًا، لم يكن أحد في ذلك العالم ينعم برفقة من جنسه كما نَعِمَا بعضهما البعض: آدم وحواء، زوجان في السماء، ووصل الأمر إلى مسامع عزازيل الذي لم يكن يصدق ما يسمع وازدادت ناره وهبط إلى الأرض مسرعًا وافتعل شجارًا مع أفراد من بني جنسه انتهت بقتله لأحدهم وأحسَّ براحة بعدها وصفاء وأحسَّ بسيطرة كبيرة على بني جنسه وجاءته الفكرة الكبرى.

أُمر آدم وزوجته حواء أن يسكنا هذا البيت الجميل الذي أعدَّ لهما بما فيه من ملذات، وأُحلَّ لهما كل شيءٍ كي يتمتعا به إلا شجرة واحدة حُرم عليهما أكل ثمارها، وكانت عظيمة الهيئة، جميلة بحقٍّ مميزة عن باقي الأشجار والثمار، وإن كنت معي وكنا بدلًا من أبينا "آدم" لغرَّنا جمالها وانجذبنا لها، لها رائحة جميلة وثمرة ناضجة تختلف عن كل الثمار الأخرى كان في مدلولها الدنيا وفيها من رائحتها.

أطاع آدم وحواء ولم يقتربا قط منها، كأنهما لم يرياها، ولكن طالما اشتهتها حواء وكانت تعود سريعًا إلى أمر آدم وتبتعد عنها، حياة مثالية وبيت في السماء به حارسة عظيمة مع الوقت نشأ بينها وبين حواء صداقة قوية، فأصبحت تُحدِّث الحيةُ "حواءَ" عن أمور ما قبل خلقها، وتنصحُها وكانت تستمع لها وتُصدِّق على كلامها، ولم تكن فطرتها لتخون أحدًا فهنا الخير ولا شيء إلا الخير، وغير ذلك يطرد إلى أرض الشر ويُلعن.

هناك ثغرة وجدها وعَلِمَ بأمرها "عزازيل" في السماء وهو يستغلها الآن، لقد استدعى صديقته وحامية بيته القديمة "الحية" وبدأ الحديث بينهما وتقابلت نياتهم وأفكارهم، ذلك العقل الكامن داخل جسد خُلق من نار لن يصدر منه إلا أفكار ليس لها سوى نار تشتعل وتشبُّ في كل ما هو أخضر وخير ولا تتركه إلا حطامًا و رمادًا هشًّا.

لماذا صدقتِ "عزازيل" أيتها "الحية"؟ ولماذا أطاعتك "حواء"؟ هذا ما لم أفهمه وقتها واستغربته بشدة، هل هناك غشاء يمنع الرؤية أم هو قدر يجب السير على كل سطوره دون سقوط سطر منه حتى تكتمل الرواية وأركانها؟ حقًّا لا أعلم، هل لديك تفسير؟ إذا كان لديك لا تبخل به عليَّ رجاء فأنا في قمة حيرتي.

لا أظنُّ أن هناك مخلوقًا قد خُلق بعزيمة هذا الذي خُلق من نار، "عزازيل"، لقد أصرَّ على البدء في انتقامه من آدم ووجد الحليف المناسب بعد أن حاول مرارًا وتكرارًا مع آدم أن يُغريه ويُغويه بتلك الثمرة وفائدتها العظيمة وهي الخلود، ولكن آدم كان لديه من الحكمة ما يكفي لمعرفة أن الخلود لا وجود له إنما خصص لمن له الخلود لو حتى في قرارة نفسه.

لم تتحطم محاولات "عزازيل" أمام جدران "آدم" المنيعة التي تحميه وتُبقيه في السماء، بل بحث عن ثغرة في ذلك الجدار وقد وجدها بالفعل لَبِنَة ضعيفة ذات تأثير فيه، وأعدَّ لهدم الجدار، وبدأ في التنفيذ من تلك اللبنة.

بسبب خلقته النارية هو سريع مُتحوِّل ويستطيع أن يتحول لدخان يتسللَ الآن لعقل "الحية" التي استقبلته داخل فمها كي يستطيع الصعود معها إلى السماء لأداء واجبها تجاه صديقها الحميم "عزازيل".

دخلت "الحية" إلى بيت آدم وحواء عابرة ذلك الباب الأخضر العظيم وهي تحمل سُمًّا بين جدران جسدها العظيم، سُمًّا سيُبثُّ داخل عُروق حواء عن طريق أذنها المستمعة دائمًا لكل نصائح الحية التي لم تنطق بشيء في ذلك اليوم،ذهب آدم ليتعبد وترك حواء بجانب الحية، ذلك المخلوق الأمين على بيتهم وسرهم، فتحت فمها وبدأت أولى بذور السم تتغلغل داخل عروقها ونَطَقَ فمها طوعًا عنها وقالت:

- يا حواء إن الخلود هو أعظم جائزة ينالها المخلوق، فلا يفنى بعدها ويبقى أمدًا وأبدًا.

وأشارت إلى الشجرة العظيمة وتغيَّر شررُ عينها الأزرق الخلاب إلى شَررٍ أحمر مهيب، لاقت رفضًا من حواء في بادئ الأمر، وتوالت الأيام وتوالت السموم في البث حتى تشربها جسد حواء وما إن علم عزازيل بأن مهمة نجحت وجاء دور حواء في إقناع آدم لقطف ثمرة الخلد التي هي ثمرة اللعن والطرد حتى انتظر وقوع عدوه في شَرَكٍ مُحكَم.

توالت الأيام ثقيلة ومريرة على مسامع آدم للعصيان، والأكْلِ من شجرة الخُلد، مكانها مميز فلا أعظم منها داخل البيت، ولا أجمل منها تطرح ثمرًا، إنها شجرة الخُلد؛ لذا هي محرمة، "لا خلود لمخلوق"، ظَلَّ "آدم" يُرددها مرارًا و تكرارًا وهو ينظر إلى الشجرة وتدفعه "حواء" دفعًا نحوها بكلامها، وبذلك السُّم الذي بُث في عقلها ودمها، تردد كثيرًا واشتاق أكثر لذوق طعمها لذوق طعم الخلود المحرم، اقترب منها فتدلى غُصنها ونضجت ثمرتها، يده ترتعش وهي تدفع يده، يُدير رأسه فيُجدها تبتسم له، لقد كانت مُشبعة بالسُّم، قَطَفَها فوجد بها نبضًا وسحرًا، شم رائحتها فتشبع جسده بها، قضمها وأعطاها كي تأخذ نصيبها الذي استقبلته بنهم، اتسعت عيناه وقبضَ قلبه وجلس زاهدًا مضطربًا وهو لا يدري ما الذي يشعر به الآن وما هذه التحولات.

ابتسم فازداد بشاعة في الوجه والنفس، ابتسمت معه ونظرت له نظرة نصر، اقترب منها وقال:

– إنكِ حملتني شيئًا ما لم يستطع أحد من قبلك أن يحملني إياه، الجميل، وسأحمله لكِ وأرده في يومٍ ما، يوم ستضيق بكِ السُّبل ولن تجدي إلا سبيلي"، لم تعِ جيدًا ما يقول، ولكنها الآن في نشوة لم تدرِ مصدرًا لها، إنها فعلت ما فعلت عن قبولٍ ورضا ولم يرغمها أحد عليها أنه مقدر لها وقد أتمته جيدًا، وببراعة.

يوم اللعن والطرد قد أزِفَ وجاء وقته، فلا للعصيان سوى اللعن والطرد، نجح "عزازيل" وفشل في آن واحد، فالقدر دائمًا ما يُخبئ له الأسوأ وهو لا يستحق إلا هذا، جاء الأمر بطرد آدم وحواء من بيتهما في السماء، وليسكنوا الأرض وتبدأ خلافتهم هناك ولتكون هي الاختبار الفاصل مع ذلك الجنس، فمن عصى فلن يعود إلى السماءومن أطاع فمكانه في السماء، ولُعن "عزازيل" ولُعنت "الحية".

هبط "آدم" وحيدًا في أقصى الأرض وهبطت "حواء" هي الأخرى وحيدة في أقصى الأرض، ولُعن "عزازيل" وتجرَّد من كل ما هو سماوي حتى اسمه وعاد "إبليس"، وهبط إلى الأرض، وحُرِّمت عليه السماء، وهبطت "الحية" ولُعنت، نعم، لقد مُسخت وأخذ مسخها يتطوَّر من جسد عظيم ذي أجنحة إلى فقد الأجنحة وتقليص في الحجم وبثّ سُمٍّ ونار حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، مخلوق زاحف على بطنه يبثُّ سُمًّا قاتلًا ويكره الإنسان الذي لُعن بسببه.

ازداد غضب "إبليس" لأن "آدم" أصبح الخليفة الجديد للأرض وأصبح أقوى إيمانًا، لقد أخذ منه مسكنة في السماء، والآن يأخذ مسكنه في الأرض، وقف واشتعل وقبح نفسه ووجهه أكثر فأكثر، وقال بتألُّم: "أي لعنة أصابتني، أنا ملعون بآدم، نعم، إنه لعنتي، إنه لعنتي التي لا مَفرَّ منها".

***

سأل الخُلد وناله، طَلَبَ اللَّعنة وحصل عليها، ولا لعنة أكثر من الخلود لمخلوقٍ.

المواجهة

لقد كلفته تلك الخطوة كل ملكه في السماء والأرض معًا، لقد فقط عزه في السماء وخلافته في الأرض،فلم تعد السماء تقبله وأصبح مُتسلِّلًا إلى الأرض، وسُلبت منه الخلافة، تذكَّر تلك المعركة مع الملائكة من سنين لا يعدٌّ ولا يُحصى عددُها، كانت تمهيدًا لآدم وهو لم يكن يعلم هذا، وقد أسرَّ ولم يعلم أيضًا السبب وقتها، كان سبب في قدر شيء أعظم.

لقد عَلِمَ الآن أنه أداةٌ للقدر، لقد صَعَدَ كي ينفذ مهمة محددة له، لقد صعد كي يأتي بالخليفة الجديد بنفسه، بل عاد ملعونًا هاربًا وضعيفًا، إنه حقًّا فَطِنٌ، صاحب ذكاء فطري يُحسد عليه، أدى إلى لعنه وتورطه وطرده، ولكن ما زال هناك صراع قائم وإن كان "إبليس" قد لُعن فلن تهدأ ناره إلا بعد لعن "آدم" معه، وليس آدم فقط بل كل ذريته التي بدأت الآن بالظهور والكثرة بعد فراق دام سنوات طوال بينه وبين زوجته حواء، لقد طاف بحثًا عنها في كل

بقاع الأرض حتى التقيا عند جبل موجود حتى أيامنا الآن في مكانٍ مُقدَّس.

- إذًا فلتبدأ المواجهة الآن وجاء الوقت لحشد أتباعي.

قالها إبليس مُستشيطًا غاضبًا، وهو في طريقه إلى أماكن تجمع بني جنسه المسلوبين خلافتهم وقوتهم وليحثهم على الغضب والانتقام والاشتعال.

حَشَدَ جمعٌ عظيم من بني جنسه واجتمعوا وكونوا حلقة عظيمة حول جسد أسود مهيب، وقال بصوت أرهبَ الجميع:

- أنا أقواكم و أكرمكم وأعزكم وأعلمكم، فمَن اتبعني في هدفي فسيكن له العزة ومَن يَعصِني فسيكن من الهالكين المذلولين، أنا الخليفة الجديد للأرض أنا أملكها وسأستردها قريب من الخليفة الطيني الجديد، من معي؟

نَهَضَ أكبرهم جسدًا وأقبحهم وجهًا وصرخ قائلًا:

- أنت لست أقوانا ولست أكرمنا، وإن أردت الإثبات فلتبدأ معي.

صدرت ضحكة مُدوية من "إبليس"، وقال:

- أخبرني باسمك أولًا لأنك ستُكتب ضمن مهزوميَّ وسيذكُرك الجميع وستنال شرف مجابهتي، ولكنك ستموت، ولن تقدر على قتل خالد.

ولم يكمل، أظنُّ أنه أراد أن يُخفي سِرَّ خلوده عن بني جنسه لغرض ما في نفسه الكريهة.

اشتعل جسده الضخم وقال:

- أنا يزدع، حاكم قبائل الجان الآن، ألم يصلك خبر هذا، أني هزمتُ أقواهم وأعتاهم في مواجهة واحدة.

ابتسم "إبليس" إن صحَّ التعبير وقال:

- لن تمكث أمامي كثيرًا.

وفي لمح البصر كان "يزدع" بُخارًا وهو يصيح متألمًا ومُستغيثًا، لم يفهم أحدٌ ماذا حدث،وكيف أصبح "إبليس" بكل تلك القوة الغاشمة، إنه حتى لم يبذل مجهودًا في قتل أعتاهم وحاكمهم منذ أن صعد "إبليس" إلى السماء وعاد بكل تلك القوة.

لكن طبيعة تلك المخلوقات النارية ليست مثلنا فهي تقاتل في مجموعات، ومن أجل قبائلها، ولا تشعر بالخوف الدفين مثلنا، بل هي أشد في ذلك، هم يتعاملون بالعهد، هَجَمَ أتباع "يزدع" على "إبليس" بالطعنات، ولم يكن أحدٌ يُصيبه بأذًى، فكلما اقترب منه أحد صُرِعَ أرضًا، وبعدها يستسلم ويُقدِّم العهد، وظَلَّ هكذا حتى عاهَدَه كل قبائل الجان إلا قليلًا، ورضوا به قائدًا في طريقٍ يخصُّه هو وحده.

مرّت أيام قليلة وتفاجأ "آدم" بجسد يتجمع أمامه وبالتتابع بدؤوا في الظهور واحدًا تلو الآخر، لم يكن "آدم" ضعيف الإيمان أو الجسد كي ينهار ويفرّ من مواجهة ما، فإنه قد علم كل قُدراتهم وعرف أيضًا أن يوم المواجهة سيحين، ففي بادئ نزوله إلى الأرض أتى إليه مَلَكٌ كريم من أعظم الملائكة شأنًا وعلمه كل شيء على الأرض، وكيفية استخدامها، علّمه "الزراعة وعلّمه صناعة الخبز والنجارة والحدادة" وأشياء كثيرة تنفعه وأخبره أن "إبليس" لن يردعه أحد، ولن يعود إلى رشده أبدًا، وقد بدأت الحرب بين بني آدم وبني الجن وستكون أبدية، وذكّره بالتقرُّب إلى الملك، وأن يحتفظ بقوة إيمانه.

مرت دقائق حتى أصبح "آدم" وسط جمع كبير من محاربي الجان وأعتاهم قوة، كان يعلم نياتهم، سوف يقتلونه كما أمروا من "إبليس" الذي يجلس على عرشه الآن يشاهد ما سيحدث بتلذُّذ بين عدوه "آدم" وبين خيرة اختياره وأقواهم من بين جيشه الذي بدأ في تكوينه وتدريبة للتوّ.

هو يعلم يقينًا أن تلك المواجهة محسومة، وقد ظهر هذا على ملامح وجهه البشع، لم يكن "آدم" في وضع ضعف قط، ولم يكونوا هم ندًّا له، فهو في حفظٍ من "الحفيظ"، وما لبث إلا أن تمتم بكلمات رنانة جميلة حتى هبط من السماء ملائكة جمال غلاظ وعندما انتهوا، لم يكن هناك سوى "آدم" الذي ما زال يبتسم ويتمتم بثقة وحمد.

وقف "إبليس" وجسده يرتعد مما حدث فهو لم يتصور أن يكون "آدم" بتلك القوة، ومعنى هذا أنه لن يقدر عليه حتى كل قبائل الجان مجتمعون، "إنه في معية الخالق إذًا" قالها وهو يكاد يبكي لهبًا من عينه التي تُصدر الشَّرر.

وها هو حلم آخر يتحطم على صخرة "آدم" الذي هو لعنة "إبليس" بحقٍّ كما قال سابقًا، طار يخرب في الجبال ويضرب في أتباعه ويشعل الأشجار غضبًا وسخطًا، ولم يهدأ بل ازداد حقدًا على حقد، لقد أصبحت الحفرة أعمق مما أتصور، أنا الآن أعلمُ لما كَرِهَ "إبليس" آدم بتلك الطريقة، وأكاد أُشفق عليه.

مرت أيام لا تُحصى ولا تعدُّ حتى في ليلة مظلمة شديدة البرودة، آدم في طريقه إلى الرجوع كي يسكن بجانب حواء، هبط من السماء "إبليس" أمامه مُشتعلًا بكامل هيئته وضخم جسده وغِله،وقف وصاح بوجه آدم قائلًا:

– آدم، لماذا أنت أفضل مني؟ بماذا ميَّزك الخالق عني؟ إنك أخطأت وغُفر لك وأنا أخطأت ولُعنت، أنا خيرٌ منك، لقد خُلقت من نار وأنت من طين، وبعد ذلك نفخ فيك من روحه، لماذا كرمَّك هكذا؟"

ابتسم "آدم" وظهرت ملامحه جلية أمام عين "إبليس" الحاقدة وقال:

- أنا لستُ خيرًا منك، ففي وقتٍ ما لم يكن هناك خير منك في الكون وأقرب إلى الخالق منك، لكنك تكبَّرت وأخذتك عزتك إلى القاع السحيق، لم تتقبل أن يكون هناك خلق آخر مقرَّب إلى الخالق مثلك بل أقرب منك، لم أتميَّز عنك سوى بأفعالي ولم تسقط أنت إلا بأفعالك، الأمر لا يتعدى القلب والنفس، فمن صلح قلبه هدأت نفسه وقادته إلى الصلاح، ومن فسد قلبه ثارت نفسه وتجبَّرت وجرته إلى الهلاك، لقد كنت أكرم الخلق، وأصبحت أبغضهم عملًا ونفسًا، إن أردت الرجوع فهو متاح، وإن أردت المُضي فالعمر مديد أمامك، فأنا سأموت وأعود إلى السماء وأنت ستبقى لتبقى في نارك.

اشتعل "إبليس" أكثر وهمَّ أن يقترب من "آدم" ليجد خلفه ملكين على يمنه وعلى يساره يدونان كل ما قال وحوله ملائكة كُثُر على أهبة الاستعداد لمواجهة أي شَرٍّ يقابله "آدم" فعاد إلى مكانه وقال:

- قد تكون أنت في حمى، ولكن لن يهنأ نسلك ولن يرتاحوا يومًا، سأكون لهم في كل مكان، وأسري لهم كمجرى الدماء في العروق وأشاركهم في أحلامهم وواقعهم وحياتهم ولأتخذنَّ منهم أولياء يتبعونني من دون الخالق، فإن كان طريقي إلى النار فسيتبعني أكثر نسلك إليها وسأكون راضيًا وقتها.

ثم تركه وفرَّ بعيدًا مُخترقًا السماء وترك "آدم "شاردًا فيما قاله، وقد أهمّه الأمر وأخذ يدعو الخالق كي يحميه وذريته من ذلك الشيطان الرجيم.

عاد "آدم" وجلس بجوار "حواء" التي فور أن رأته حتى علمت أنه رأى ما لا يُرضيه وحاولت أن تُخفِّف عنه بعد أن روى لها كل شيء وبعدها أخذ يتمتم بأدعية وهو ينظر إلى "حواء" التي بدت معالم حملها جلية وبارزة، فهي على وشك أن تلد أول النسل الذي توعَّده "إبليس" بكل شَرٍّ وسوء خاتمة وهلاك.

مرت أيام قليلة ودوَّى في العالم صوت لأول طفلين من "بني آدم" وقد سمعه كل المخلوقات، وتساءلت عن مصدر الصوت، تجمَّع كل قبائل الجان حول عرش "إبليس" كي يستعلموا عن مصدر ذلك الصوت فوجدوه مبتسمًا وقال:

– أعدوا لي أقوى اثنين وأكثرهما تخفيًا الآن ليكونا قريني لمن وُلد حديثًا في نسل آدم لقد بدأ الصراع لتوه.

ومن هنا بدأ التاريخ في التدوين وبدأ الإنسان في تعمير الأرض والانتشار بها ومواجهة مصيره وخوض اختباره المُحتم وأمامه طريقان، أولهما طريق يجلس فيه الشيطان وآخره حفرة من نار وثانيهما طريق من نور وآخره باب لونه أخضر مُشرقٌ يُبهج النفوس.

يا أكثر إن الحمل يزداد أكثر وأكثر وأنت مستمر وأنا أرتعد، هل لي من رجوع؟ أم أن القدر نافذ؟

صمت كل شيء وكأنه يُجيب بأن القدر نافذ لا محالة.

***

أعداؤك في الانتظار، لا حياة لهم إلا بموتك، ولا سعادة لهم إلا في شقائك، الأمر عائد إليك.

فتنة

ثغرة أخرى في نسل بني آدم، الغيرة والانتقام،لقد أثبتوا جدارتهم للحاق بمصيري نفسه الآن.

ابتسم إبليس لمّا رآه للتوّ، فهناك بذرة للشّرّ كامنة داخل أحد من نسل آدم ويجب رعايتها جيدًا لأنها ستكون مدخلًا لكل شَرٍّ وذنب في ذلك الجنس وشجرة تُنبت ثمارًا من نار.

غلامان في مقتبل العمر، خُلقا ووُلدا على هذه الأرض، سمعا من أبيهما كل شيء عن السماء واشتاقا إليها وقد حذّرهم من الانصياع إلى كلام "إبليس" الذي يُلقيه في نفوسهما في كل وقت، صارت الأمور بشكل جيد حتى شبَّ الاثنان وصار كلٌّ منهما رجلًا يُعتمد عليه، فأحدهما يزرع والآخر يرعي، وتمكّن كل منهما بعمله وأصبحا فخرًا لأبيهما.

لم يكن على الأرض من بني آدم سوى القلة القليلة، اليوم طويل يبدأ منذ بزوغ الفجر ويستمر كلٌّ منهما بعمله، الأول شابٌّ جميل الهيئة يشبه أباه آدم في كل صفاته الخلقية وحتى في معاملاته وأخلاقه، وقد تعلَّم منه كل ما يُقرِّبه من الخالق عز وجل، وكان يعمل بالرعي، ولديه الكثير من الكِباش.

الشاب الآخر كان أشدَّ قوة من أخيه، وكان يمتاز بشخصية قوية صاحب مزاج مُتقلِّب ويعمل بالزراعة، كثيرًا ما كان يختلي بنفسه ويغيب فتراتٍ طوال تقلق أبويه، ولكنه كان قويًّا يُعتمد عليه، فخور دائمًا بما ينجزه، ويحب أن يرى بعين أبيه الفخر دائمًا.

نَظرَ إليهما "إبليس" في ترقُّب يحاول فهم ما بداخل كلٍّ منهما فلم يجد في أحدهما سوى جدارٍ منيعٍ مثله كمثل أبيه تمامًا، ورأى بالآخر ذلك الجسر الذي سيعبر به إلى داخل قلب آدم ويطعنه بسيف مسموم، وسيسري السُّم داخله حتى يتغلَّل إلى كل نسله.

ليس على إبليس الآن سوى النظر إليهما والتمعُّن جيدًا وانتظار القادم، وانتهاز الفرصة المنتظرة والتي يترقُّبها "إبليس" دائمًا في كل أبناء آدم، وظَلَّ ماكثًا أيامًا وسنين يترقب وينتظر حتى حان الوقت، وها قد أتى.

نضج الشابان وظهرت غرائزهما الرجولية، وكان على آدم أن يُلبي سُنة تلك الحياة وأن يُزوِّجهما، كان لكلِّ شابٍّ منهما أخت توأم، وكان على كلٍّ منهما أن يتزوج بأخت الآخر كما أمر آدم.

لاقى الأمر القبول من الاثنين في أول الأمر، ولكن العدو المتربص يكن ليدع تلك الفرصة تمرُّ مرور الكرام أبدًا، ها هو الآن يتشكل جسد زاحف ويمر بجوار ذلك الشاب الضخم وهو يجلس تحت جرة يفكر بعمق هو بعيد حقًا عن باقي أهله.

التفَّ الزاحف حول الشجرة واقترب بفمه المسموم ولسانه شقوق من أذن ذلك الشاب الصامت وقال له في هدوء قاتل:

– لكن أختك هي أجمل البنتين، تُرى لِمَ لم يزوجك أبوك بها؟ أم ه يحبُّ أخاك أكثر منك؟ نعم أظنُّ أن هذا هو الأمر.

التفت الشابُّ يمينًا ويسارًا ولم يجد أحدًا، وقف وقد اشتعل صدره لًما وحِقدًا تجاه أخيه وحزم أمره على أن يُفاتح أباه بما في صدره.

بعد أن غادر الشاب وعلى وجهه علامات الغضب عاد "إبليس" لى شكله البغيض، وأخذ يضحك بتشفٍّ ثم تبخَّر وذهب كي يكمل ما بدأه ويرى ما يُرضيه وينتظر أن يرى تلك البذرة شجرة شنيعة مثله لا تنتبت إلا شَرًّا وأذًى.

***

في صباح اليوم التالي وعندما أفاق "آدم" من نومه وجد ابنه ذلك الشاب القوي ينتظره وهو حامل للغضب، أحسَ آدم بما حدث فهو لم يكن ليغفل عن تربُّص "إبليس" به وبأولاده، وعندما فرغ "آدم" من

سماع ابنه وما قال أخبره أنه سيستخير الخالق في ذلك الأمر وقد كان.

بعد عدة أيام عاد آدم بقرار وهو أن يقوم كل من الشابين بتقديم قربان من أفضل ما يزرعون أو يرعون إلى الخالق، ومن يُتقبل منه القربان فقد فاز بالفتاة الجميلة وهي له وملكه.

ظل الأخوان يكدحان كلٌّ في عمله وقد جهَّز الأول كبشًا كبيرًا قد سهر وكّد في الاعتناء به وبمأكله حتى أصبح أفضل ما يملك وتركه عند المكان المحدد وربطه بصخرة، والآخر جمع عدة محاصيل من أرضه ووضعها أيضًا بالمكان الذي أخبرهما به "آدم" وانتظرا النتيجة في لهفة.

مرَّت أيام، وتقبَّل الله أحد القُربانين وهو الكبش، ولم يقبل الآخر، وقد تم الأمر وحُسم وأصبحت الفتاة زوجة الشاب صاحب الكباش وزاد حِقد الآخر وحَزِنَ حزنًا كبيرًا وانعزل عن أبيه واخيه وأخذ معه زوجة غير الراضي بها.

هل يترك "إبليس" الأمر عند هذا الحد؟ لا لا أعتقد ذلك، هل تظنُّ أنت؟

في ليلة ممطرة تشكّل "إبليس" بتلك الفتاة الجميلة وبالقرب من المكان الذي ينام فيه الشاب القوى صاحب القربان الذي لم يُقبل، أخذ ينادي بصوتها حتى أفاق وعندما خرج وجدها الفتاة الجميلة وأخذ يتحدث معها دقائق وفجأة تبخَّر "إبليس" تاركًا الشابَّ وداخل صدره نار مشتعلة غيرةً وحقدًا على أخيه الذي حصل على نصيب

يحسده عليه، ثم تكرر الأمر عدة مرات حتى جُن جنون الشاب وقرر
ن يفعل شيئًا.

بمرور الأيام ازداد الشجار بين الأخوين وفصل بينهما أبوهما في
العديد من المرات، حتى قرَّر "إبليس" أن هذا الأمر لم يعد لطيفًا يجب
ثّه على إيذاء أخيه بما يشفي غليل صدره ويشفيه في نسل آدم.

وحدث ما لم يكن متوقعًا من "إبليس"حتى استدرج الشاب القوى
خاه المؤمن وابتعد به عن أبيه وقومه وافتعل معه شجارًا من دون
سبب، أراد الشاب المؤمن أن يبتعد وينهي ما قد يتطور ويصبح
ؤذيًا،ولكن أخاه كان قد أخذ القرار، لقد حمل صخرة كبيرة وأصبح
، مواجهة أخيه الذي ظل متعجبًا من فعله وقال:

– أتريد إيذائي وهلاكي؟ أتريد قتلي؟.

لم تكن لتلك الكلمة معنى في عالم الإنسان قبل ذلك القول، لحظة
ا تصلّبت يد الشاب القوي وبُهت ثم أفاق من غفوته وقال:

– نعم، لقد أحبَّك أبي أكثر مني وأعطاك أجمل بنتيه وأنا أحق منك
بها.

ثم اقتربَ كي ينفذ ما يهدد به، نظر إليه أخوه بشفقةٍ وقال:

– إن مددتَ يدك لتقتلني ما أنا بمادٌّ يدي لأقتلك، إن أردتَ
فافعل.

نظر في عين أخيه فوجد بها الغلّ والحقد والحنين، استدار وتحرَّك خطوات ثم هوى أرضًا ينزف دمًا من كل رأسه وفارَقَ الحياة في وقتها تاركًا خلف ظهره جسدًا يرتعش ويتألم وهو ينظر إلى يديه وإلى أخيه الملقى أرضًا وروحه تصعد إلى السماء.

كان "إبليس" في غاية التعجب والسعادة،إن هذا الجنس حقًّا يسير في خطوات هلاكه أسرع من جنس الجن نفسه، ثم طار فرحًا تاركًا الشابَّ يبكي ويصرخ نادمًا على فعلته.

حَمَلَ أخاه وسار به أيامًا، يبكي ساعاتٍ ويصرخ مثلها، ترك الأهل والزوجة وهاجر إلى أبعد مكان يُداري به جثمان أخيه، لم يكن يعلم ما سيحل به أو بأخيه الآن، ولم يقدر على ترك جسده في العراء كيلا يأكله حيوان، لقد نَدِمَ وأناب، ولكنها فعلة لا تُغتفر، إنها كبيرة لم يسبقه بها أحد، لقد قتل نصف العالم لتوه، وقد حطَّم نصف فؤاد أبيه "آدم" الذي حزن وبكى كثيرًا.

وجد الآن الشابُّ خلاصًا لما فعله، لقد دلَّه طائر أسود كئيب ماذا يفعل بجسد أخيه، لقد علَّمه الدفن ففعل، وظل بجانب قبر أخيه أيامًا ثم اختفى راحلًا بندمه وكبيرته إلى مصيره المحتم.

لقد شاهدتَ معي الآن أول جريمة قتل عرفها الإنسان لقد رأينا معًا "هابيل" و"قابيل" أول قاتلٍ وأول مقتولٍ، لقد فاز "إبليس" بجولة

هي من أهم الجولات، وعلّم الإنسان بداية طريق الشر ووجد منهم ما فاق الحدود والخيال، حقًّا إن هذا الإنسان مبدع.

قبل أن يموت الأول ترك بذرة من بعده ستنشئ نسلًا جديدًا وقبل أن يهاجر الآخر هاربًا ترك بذرة هو الآخر ستُنبت بعد ذلك وستُعاد الكرة من جديد وقد كان.

***

اسودَّ وجهُه وجسده، هاجر بعيدًا هاربًا، دفن جسد أخيه،

وسن سنة جديدة ولكنها ليست حميدة.

العدوان

ظنَّ أن الزمن لم يعدو كثيرًا بنا، فقد مَرَّ على وفاة "آدم" مائة عام على ما أظنُّ، ولكن عدد أبنائه وأحفاده تعدى الآلاف قبل أن يموت ووصاهم بالحفاظ على طاعة الخالق وعدم اتباع الشهوات وعدم السماح ل"إبليس" بالتلاعب بعقولهم، كما فعل مع أحدهم من قبل "هابيل"، وقبل أن يلفظ آخر أنفاسه قال:

- إن هذه الأرض ابتلاء واختبار، فمن نجا منها عاد إلى جنة الخلد ومن أغوته ووقع في شهواها خُلد في عذاب النار.

ذكّرتني كلماته بأحدٍ آخر قد قالها لنسله قبل أن يموت ولكنهم فعلوا كل شيء خاطئ من بعده، ويبدو أن الأمور تتشابه كثيرًا بين جنسين مختلفين تمامًا، ولكن مصائرهم واحدة.

لم يمضِ الكثير من الوقت بعد موت "آدم" حتى بدأ "إبليس" مهمته المصيرية فأبعد الكثيرين عن طريق الحق، وأنساهم الخالق ووصية أبيهم، وانتشرت بينهم المعاصي وتفشى الظلم ليأكل في أجسادهم مثل الطاعون، ظلت الأمور هكذا حتى وجد أتباع "إبليس" مدخلًا آخر في النفوس الضعيفة كي يفعلوا بها ما يشاؤون ومع الوقت أصبحت نفوس بني آدم ضعيفة وتتلاعب بها الشياطين بالمس والسحر والتلبُّس، ظنَّ "إبليس" أنها النهاية لذلك الجنس وأنه اقترب مِن مَنَاله وسيقضي عليهم كلهم ويسترد الخلافة، من بين كل هؤلاء ظهر شابٌّ قويُّ البنية ذو جَلَد وقوة إيمان فهو شخصية قيادية وفي وقت قليل استطاع أن يجمع شملًا بني جنسه، وأصبح يُقاتل كل "شيطان" يرسله "إبليس" في جسدٍ أو بيتٍ من بني قومه، ازدادت الهجمات وفزع الجميع، لم يكن أمام الشاب إلا أن يُغادر بجميع بني جنسه ويتجه ناحية مكان يقع بين جبلين عظيمين وأعد خطة جيدة وهي أن يبني سورًا يفصل بينه وبين من يريد الانتقام، وفي وقت ليس بالقليل وبعد المشقة والعناء لصد الهجمات المتتالية أتمَّ بناء سور عظيم ما زال له أثر حتى زماننا هذا، وبدا من خلف ذلك الجدار يعد قومه ويحثهم على الصبر ويقوي من عزيمتهم وإيمانهم.

غضب "إبليس" من هذا الشاب الذي يشبه جده "آدم" في طباعه وهيئته وإيمانه، فلم يكن يتصور أن يولد "آدم" في هيئة جديدة بعد أن مات، استمرَّ على إرسال الهجمات التي جميعًا باءت بالفشل فقرر أن يُنهي ويحسم هذا الأمر للأبد.

"هم الآن في أضعف موقف لهم، يظنون أن أسوارهم ستحميهم منا الآن، لنسترد خلافتنا ولنبيدهم" خطاب ألقاه "إبليس" على جيشه الغفير، ويتضمن قبائل كاملة استطاع أن يجمعهم بعد هيمنته على عالم الجان ووجههم لذلك اليوم المعد لمواجهة الجنس الآدمي المختبئ خلف سور عظيم في إحدى أقدم بقاع الأرض.

على الجانب الآخر أعدَّ الشابُّ عُدته جيدًا وتسلَّح بالإيمان والسلاح معًا وقد شُوهد جيش الجان على مرأى ومسمعٍ من كل البشر في ذلك اليوم، لقد كانت حربًا مادية إيمانية بكل ما تحمل من معنى، كل الخوف بكل أشكاله هنا الآن، يحملون حقدًا قد شُحنوا به من قائدهم الجديد بلا سبب.

وهمُ مُلك الأرض وخلافتها تعمَّق إلى داخل نفوسهم ونقش قلوبهم بالغِل والحقد، أرادوا إنهاء ذلك الجنس الطيني بكل طريقة ممكنة، وها هي اللحظة المواتية قد تكون لحظة عودة العزة والقوة والسيادة على تلك الكتلة التي تسبح في الكون ومن فوقها ملك لا ينتهي، احتدت نفوسهم واشتعلت أجسادهم.

لو لم أكن أرى بعيني لاعتقدتُ أنه فيلم ذو إنتاج ضخم، ولكن هو ليس فيلمًا، إنه حقيقة ملموسة، أشكال وأحجام مُختلفة بعضهم يطير والآخر يذوب، وهناك يركبون دوابَّ غريبة الشكل، وكل مشتعل جسده ليُنير ظلام ذلك اليوم ليضفي عليه رهبةً أكثر.

لقد اختار "إبليس" الليل كي يهجم على ذلك الجنس الطيني الذي يكرهه قبل خلقه ويكره وجوده. صاح في جنوده وأرسل أقوى ملك منهم كي يبدؤوا الحرب وإبادة ذلك الجنس، صاح الجميع اتجهوا مسرعين ناحية الجدار العالي المنيع.

خلف ذلك الجدار تجمَّع واصطفَّ الجميع أمام شاب بدأ يتلو بعض الكلمات بلغة غير مفهومة وردد الجميع خلفه، المكان أشبه بقلعة عملاقة محصنة جيدًا ضد الهجمات، الكل يحمل سلاحه ويردد خلف الشاب، صوت الهجوم يقترب وهناك مَن يرتعش خوفًا فينظر إليه الشاب بغلظة ليحثّه على الثقة بالخالق بأنه سيحميهم وهو في صفِّهم ومعهم ضد الظلم والشر.

لم يذكر أحد من قبل مواجهة أنس مع جانٍّ ماديًّا بالسيوف والرماح، ولكن ذلك اليوم كان عكس كل التوقعات،جيش "إبليس" غفير العدد، وهؤلاء أقل بكثير، للوهلة الأولى تدمع عيناك لما يتخيله عقلك عند اقتحام تلك الكائنات البشعة السور وما سيفعلونه في بني الإنس، ولكن الآن أنا مُشفقٌ على ما يحدث لجيش "إبليس"، نعم إنهم يستغيثون كي يتركوهم على قيد الحياة، لقد تكبدوا خسائر عظيمة، وأُبيد معظمهم حتى إن ذلك الشاب الشجاع فتح أبواب الجدار وطاردهم وقتلَ الكثير منهم وفرَّ "إبليس" مشتعلًا مُتعجبًا وهو يقول:

– أي لعنة هذه؟ أي قوةٍ اكتسبوها؟ لماذا يحدث معي هذا؟ لماذا يفشل مخططي دائمًا؟ ومن هذا الشاب؟ لا بد من حل.

نعم لقد ترك جيشه ينهزم وضحّى به دون أن يحاول مساعدهم وقد لاقوا عذابًا وهوانًا وذلًا لم يلقوه، لقد أحسوا بالضعف الشديد أمام أضعف أبناء "آدم" قوة والقوي يقتلهم ويأسرهم بسهولة، أي قدر هذا كتب عليهم؟ وأي قائد هذا يترك جيشه ويهرب؟

بعد أن أشرقت الشمس فتح الشابُّ أبواب الجدار وقال:

– لقد نصرنا الخالق عندما عدنا إليه،لنعمّر كل شبر بتلك الأرض فنحن خلفاء عليها ولا قوة ولا سلطان للجانّ علينا بعد الآن، لقد منحنا الخالق قوة لا تُضاهى، وعزًّا لم يُعطهِ أحدًا من قبل، فلنخرج وننتشر في كل بقاع الأرض ولا خوف علينا إذا كنا في حمى الخالق.

إنه حقًّا شاب شجاع تعجب به فور رؤيته، لقد أخذ جنسه بالكامل من الضعف إلى القوة، ومن الزوال إلى الانتشار وأسس قواعد لم تكن موجودة من قبله، وبنى أول مدينتين على وجه الأرض وحمى قومة من بطش "إبليس"، وعاش فترة ليست بالقصيرة بعد ذلك ثم مات ليبدأ الصراع من جيد وبمخططٍ جديد أعدَّه "إبليس"، ولكن تلك المرة ستكون المواجهة بشكل مختلف شكل يجيدُه "إبليس" وأتباعه ويتقنونه.

ما رأيناه كان شابًا يُدعى "مهلاييل" من أحفاد "آدم" وحمل معه
رَّ جده، وحملَ كلّ الثقيل، وأخذ على عاتقه طوال سنين لا حصر لها
اية جنسه والتصدي لكل هجمات "إبليس" وقد نجح، أما عن تلك
لدينة التي بناها فهي "بابل".

علم "إبليس" الآن أن لبني "آدم" قوة لم يكن يعلمها، ولم تكن في
لحسبان، فأي مواجهة مادية بنين الطرفين ستحسم لبني"آدم" كما
حدث وأنه أمر مَقضيٌّ وممنوع التفكير فيه إلا في حالات رتبها جيدًا،
خذ يفكر وجمع حوله أقرب الجان الموالين له وقال:

- إن بني آدم نساون، خطاؤون مثلنا وأكثر، زرعُ الحقد داخلهم
ن هين، التفرقة بينهم شيء سهل وبسيط، بعضهم يعمي بصرة
بصيرة أمام امرأة يشتهيها، وهذا أمر مهم، والآخر يبحث عن
سلطة وهذا مبتغانا، وهناك من ينافق كي يملك كل هذا دون شعور
حدنا وهذا ملاذنا، أضعفهم بنات حواء، وأقواهم من يتعبد في كل
قت، شبابهم أرعن مندفع فليكن هذا في الاعتبار، وشيوخهم لا
سلطان لهم بعد أن ضعفت ووهنت القوى من أجسادهم، أكثرهم لا
يجيد إخفاء ما بداخله وقليلهم قوي من الداخل وهذا ما نخشاه، لذلك
سوف أخبركم بأمور لتكون نظامًا في الخلاص من هؤلاء الطين
وإبادتهم وسيكون ثأرًا لمن فقدناهم تحت أقدامهم".

بعد ان أنهى كلماته بعث الكثير منهم كي يجمعوا له فُتات جيشه
كي يتعلموا ويتقنوا المخطط الجديد الذي يضمن نفاذه في بني آدم
النّساون العصاة.

ومع مرور الوقت لم يَنْصَع الكثير من قبائل الجان لمطالب "إبليس"، فلكلِّ قبيلةٍ مفقودوها وقتلاها من أقوى ما يملكون، ولن يجازفوا بخسارة المزيد، واتحدوا وكونوا ممالك سبع مترابطة يحكمها سبعة ملوك شداد واتخذوا قرارًا بأن يظلوا هكذا في مواجهة أي عدو حتى وإن كان "إبليس" نفسه.

لم يجد "إبليس" بُدًّا من مواجهة كل أبناء جنسه فهو يريدهم بجانبه في كل الأحوال كما أهم الأداة التي سينفذ بها مخططه ويتشفى في عدوة اللدود ونسله الطيني الذي يمقته.

إن ذلك الشيء الكامن داخل رأس هذا الجان "إبليس" لم يخلق مثله من قبل ولن يخلق مثله بعد ذلك، لديه قدرة غريبة على حل الأمور المعقدة وابتكار الحلول ومثابرة لا حدود لها في تنفيذ ما يخطط وقوة عظيمة في السيطرة بشتى الطرق على مَن حوله من بني جنسه أو من أجناس أخرى، ولكنه عاش كثيرًا وله من الخبرة ما يكفي أهل الأرض كلهم ويفيض ولكنه مبدع.

***

في كل وقت عصيب هناك من يلمع نجمه ويسطع ليمحو آثار الظلام، ويُعيد بني جنسه إلى النور من جديد، هكذا كان وهكذا سيكون دومًا، إنه قدر وقد حُسمَ.

تشتُّت

ما حَلّ بذلك الجنس الناري لم يكن بالأمر الهين، لقد فقدوا كل يء بلا رجعة، وأيقنوا أن القدر قد تخلى عنهم، وأصبح يساند نسًا آخر خلق من طين وله الكثير من القدرة والقوة وإن تقابلا مرة حرى وجهًا لوجه ستكون الغلبة لبني آدم، فقرروا التشتت والهيام في خاء مملكتهم المفقودة -حاملة حضارتهم البائدة المندثرة تحت الأرض.

ولكن كان هناك دهاء ما زال يقطن داخل عقل "إبليس"، لقد فكر بشيءٍ آخر أكثر فعاليةً وأقل ضررًا على بني جنسه الضعيف ماديًا، ولكن تلك القوى الممنوحة لهم تمكنهم من التخفي بين الثرى وذلك الحجاب الذي وضع عنوة بين الجنسين أنه دائمًا ما كان يحول هزيمة "إبليس" لنافذة يرى من خلالها نصره الذي يحلم به يومًا.

لقد قرَّر أن يأخذ من كل مملكة زوجة له ينجب منها ويصير من أهل تلك المملكة ووجب عليهم ضمَّه وحمايته وسماع ما يريد، وقد

لقد قرَّر أن يأخذ من كل مملكة زوجة له ينجب منها ويصير من أهل تلك المملكة ووجب عليهم ضمَّه وحمايته وسماع ما يريد، وقد نجح في ذلك، لقد اختار أخبث سبع زوجات له من كل مملكة توافقه الفكر والطموح، ولها ضحايا في الحرب المذلة ضد البشر.

اجتمع "إبليس" بزوجاته السبع بعد ان أنجبا عددًا لا يُستهان به من أعتى الجان وأقواهم وأشدهم كفرًا، وأصدر أوامره ببعث كل زوجة له وأبنائهم إلى المملكة التي ينتمون إليها كي يبثوا سمومه في نفوس كل مملكة ولا يعودوا إلا ومعهم كل أبناء القبيلة أو أكبر عدد من الأتباع وقد كان.

طال الانتظار سنوات طوال، انتشر خلالها بني آدم في كل بقاع الأرض وازداد أعدادهم بشكل كبير وكونوا هم الآخرون قبائل وممالك منفصلة تحمي كل واحدة منها أتباعها وحدودها بكل حسم وقسوة ونسوا أنهم مشتركون في الجنس وأبناء لآدم عن آخرهم.

كان "إبليس" يراقب هذه الصراعات التي بدأت تنشبُ بين تلك الممالك والقبائل بيد منه أو من تلقاء أنفسهم السوداء، كان يشعر بأن مخططه سينجح مع تلك الفصيلة التي يرى بها نفس طبائعه الشيطانية، فهناك شياطين إنس كما أن هناك شياطين من الجان.

كان يحدد أهدافا ويخطط على المدى البعيد، ويفكر في الأشياء الأكثر تأثيرًا في ذلك الجنس الطيني، فوجد أن هناك عدة أشياء تنجح مع معظمهم ومنها النساء والمال والسلطة، ولكن أكثرها فتكًا هي السلطة، حدد أهدافه واختار مَن سيصيبهم بسهمه المسموم، فقلوبهم هشة ونفسوهم مظلمة.

- انظر معي إلى كل تلك المعارك والدماء التي أُسيلت، ما الذي يحدث يا "أكثر"؟ ما الذي اضطرهم إلى كل تلك الحروب؟

- يا طاهر لم يعد جنسك طاهرًا، ولا تستطيع أن تمسك بسبب واضح تعلم به لماذا اندلعت كل تلك الحروب سواء في جنسنا أو في جنسك، بالرغم من اختلاف طبائعنا إلا أن هناك شيئًا مشتركًا بيننا وهو أننا عُصاة، كلنا عصاة لما أمرنا به الخالق، ولكن الصالح منا هو مَن يحكم جماح نفسه ويقومها ويتوب إلى الخالق، بينما الطالح من تمهد له نفسه الطريق إلى المعاصي الكبرى ويقع في نفسه شيء من الكبر والعظمة وينسى أنه سيفنى ويموت.

تعال معي كي أريك ما يحضّر له "إبليس"، الآن بينما أبناء جنسك يتشتتون من بعد تجمُّع، هل تراه هناك الآن وهو يجلس والأعداد حوله تزداد يوم بعد الآخر كأنه نبي أتى كي يخلصهم من عذابهم المهين ويستعيد لهم الخلافة المسلوبة، أرأيت تلك النظرة في وجوههم من قبل؟ إنهم يصدقونه في كل حرف ينطقه، إنهم يُكوِّنون دولة داخل

حدودكم، دولة خفية ولكنها فعالة وتتحكم بكل شئ، فبإشارة واحدة من "إبليس" تندلع حرب بين أكبر ممالككم ويقتل الكثير ويُيتم الآلاف وترمل النساء ويهدم البنيان.

إنه فساد يعم كل أركان الأرض، ولكن هناك نور ما زال قادمًا من بعيد، نور ننتظره نحن قبلكم، نور يخشاه "إبليس" ويشعر أنه قادم ولكنه ينفي وجوده حتى يستطيع أن يكمل ما بدأه ويخفي قدومه عن عشيرة وجيشه المغيب كما أنتم مغيبون.

– أتظنُّ يا "أكثر" أن الحياة كانت ستكون أفضل إذا لم يكن هناك وجود ل"إبليس" أتظنُّ أنه أساس كل شر؟

– أتعلم يا طاهر، إبليس ما هو إلا فتيل يشتعل ويصدر شررًا فيتطاير ليمس مادة قابلة للاشتعال فتنتج عنه حرائق لا حصر لها وكوارث وخسائر عظيمة، ما أقصد قوله: إنه لا ينتج أثرًا إلا مع نفوس هي قابلة للعصيان حتى وإن لم يكن هناك وجود ل"إبليس" فستسعى هذه النفوس للاشتعال من تلقاء نفسها كي تؤدي ما يرضيها، ففي رضاها شقاء وعذاب لغيرها، إنها نفوس سوداء قاتمة لا نفع منها.

أكمل أنت يا طاهر ما تراه ولتستوعب أكبر قدر مما يحدث الآن وسأعود إليك، وتذكّر أن هناك نورًا في كل نفسٍ، وإن كانت سوداء ينتظر دوره في الحياة، فكم من نفسٍ عاصية تابت وأصلحت وكانت منارة للإيمان.

لقد انتشر كل ما هو شرٌّ داخل ذلك الجنس الآدمي الذي خلق من طين وكرمه الله وتاب عليه، والآن هو يعصي ويفسد ويكرر كل ما فعله من قبل الجان، لقد دمروا وسفكوا الدماء وقتلوا الكبار والصغار وهدموا المنازل وحرقوا الحضارات، والآن سيحدث لهم مثل ما حدث مع مَن كان قبلهم، لقد تفرقوا وتشتتوا إلى بقاع الأرض وكوَّنوا ممالك وقرى وتحولت طهارتهم إلى فساد غير مُبرَّر وأعمال لا طائل منها.

يطوف "إبليس" طائرًا فوق القرى ويتبعه جيشه، يُشير إلى ذلك البيت فيهبط بعض جنوده إلى داخله وسرعان ما يشتعل البيت والذي يليه وهكذا حتى تشتعل كل القرية وهم غافلون.

"إبليس" يضحك بصوت جهوري ويشتعل جسده للمزيد من الانتقام من أعدائه والتشفي فيهم وفي نسلهم وأبنائهم، ولكنه دائمًا يشعر أنه لم ينل مراده كاملًا هو يفكر بشيء يفوق كل الذي حدث ويعمل على ذلك، هو في باطن عقله وفي قرارة نفسه الكريهة يعمل على مخطط عظيم وسيحتاج مَن يُشاركه إياه من شياطين الإنس والجان معًا،لذلك فكر في مشاركة شياطين الإنس في الأمر والاستفادة منهم مقابل أشياء لا قيمة لها سوى عند البشر فقط.

لقد بدأ الأمر بالفعل واشتد الصراع، الصراع على أرض ظن الجان أنهم يملكونها، وظن الإنسان أنه خليفة مخلد عليها، بمرور الوقت أنكر أبناء آدم وجود إبليس ووجود مخلوق أحدهم حتى على هذا

الكوكب بل في العالم كله، ظنوا أهم سادة أنفسهم، وأن تلك الأرض مملكتهم الأبدية،أصبح الجان أسطورة يتحاكون بها وينكرون مصدرها وتقلصت سيرتها حتى أصبحت ترهب الأطفال فقط.

عمل "إبليس" وأتباعه في الظلام متخفين في غطاء الجهل الآدمي والإنكار المستمر لوجودهم حتى إذا كان هناك موقف صريح يفسرونه بأسماء أخرى وخرافات انبثقت منها الأديان غير السماوية وعبادة النار والنجوم والبقر والقمر والشمس حتى عبادة الأصنام، لم يفرقهم إبليس طبقات فقط بل استطاع أن يفرقهم ويشتتهم عقائديًّا حتى أصبح العالم كله في ضلال سوى قلة قليلة ظلت تعبد الخالق وحده كشمعة مضيئة وسط صحراء شاسعة بها رياح عاتية توشك أن تطفئ نور تلك الشمعة، ولكن تلك الشعلة هي ما كانت يُخيف "إبليس" حتى الموت وهو خالد.

التفَّ "إبليس" بكل جنده حول هؤلاء وبكل شراسة هاجموا عقيدتهم، ولكن بلا جدوة فباءت كل محاولاتهم بالفشل،وكلما أرادوا إطفاء تلك الشعلة المضيئة، وازدادت إضاءتها لتُنير أكثر وأرشدت بنورها أناسًا ضلوا الطريق وتضمهم إليها، لقد كانت تلك الطائفة هي مبتغى إبليس وهمه الأكبر.

***

بخلاف سبب خلقهم فعلوا، ونالوا ما لم يكن معدًّا لهم، نالوا النار وتركوا الجنة.

استعداد

– إلى أين تقودني يا أكثر؟ لماذا أنت تسير ببطء هكذا بخلاف ما تفعله معي دائمًا؟

أشار أكثر إلى طاهر، وقال:

– في هذا المكان بالتحديد لا يمكن أن نلفت الانتباه أنا أتيت بك إلى هنا كي تنظر بنفسك ما بدأه إبليس وكيف خطط لكل شيء وكيف يرسل جنوده، فلتصمت وتشعر بما يحدث.

مكان مظلم قارس البرودة تلمح منه لهبًا يتطاير يمينًا ويسارًا وفي كل اتجاه، وهناك فوهة كهف يقود إلى ممر طويل منحوت من الداخل برسومات غريبة وأشكال لا تمت لبني آدم بصلة، يهبط بك الممر إلى أسفل لتقع فوق عرش أسود اللون ويجلس عليه مخلوق مقزّز عظيم الهيئة وتسري على جسده المشتعل الكثير من الحيات والأفاعي، إنه يجلس فوق عرش طائر، لا، إنه يجلس فوق عرش على ماء.

صوت فحيح الأفاعي والحيات يعلو بشدة ويصمُّ الآذان، عين الجالس على العرش تصدر ومضات كالبرق تخطف القلوب، ومن آنٍ إلى آخرٍ يشتعل جسده عندما يفكر بصوتٍ مسموع تتصدع الصخور من ذلك الصوت الرعدي المرعب.

وقت قليلًا ودوَّى صوت بوق تنفخ فيه إحدى الحيات خلف عرش إبليس وسرعان ما تحولت إلى جسد شيطاني أُنثوي وجلست بين يدي إبليس الذي أشار إليها أن ترحل، ومرت ثوانٍ وبدأت الصيحات تتعالى من كل مكان ويبرز من الأرض دخانٌ ما إن يلبث حتى يتحول إلى أجسام مختلفة الألوان والأشكال ويجلسون بين يدى إبليس، وتوالى الظهور من الجدران ومن بين الصخور ومن تحت الماء الحاملة للعرش حتى من الهواء ومنهم من يهبط بكامل جسده من السماء حتى أصبح الحشد كبيرًا ومخيفًا.

وقف إبليس فوقف الجميع وقال:

– سأشرح لكم اليوم مخططًا قد رسمته منذ وقت طويل، سنعمل عليه جميعًا بكل دقة فلا مجال للخطأ، أهدافنا واحدة، وغرضنا هلاك بني آدم بأي وسيلة، الظهور المباشر أكبر خطأ، المواجهة لا تكون إلا مجازفة في حالة عدم استعدادنا لمن نجابهه، فلتسمعوا جيدًا لما سأقول يا جنودي.

- ستعلمون أن أبناء آدم ينقسمون إلى عدة طوائف وأنفس، طائفة طامحة إلى ما هم ليسوا عليه ولا يرضون بقسمتهم فيبحثون عمَّن يعزز فكرهم وطموحهم ويرضى غرورهم فيلجؤون إلينا وهم لا يعلمون وأولئك هم مصدر قوتنا وسلطتنا على بني آدم ولا نتعرض لهم إلا قليلًا لأننا نضعهم أمام الطريق ونتركهم يبهروننا بمعاصيهم، طائفة راضية ونفس مؤمنة وهم أكثر ما نبغض من بني آدم، فلا سلطان لنا عليهم، ولا يد لنا في بيوقم أو أبنائهم أو عقلهم، أنفسهم من نور وأرواحهم من نور ولا يعبؤون إلا بمرضاة الخالق وينظرون إلى قبورهم وآخرقم تاركين وراء ظهورهم الدنيا بكل ما فيها وكل ما نوسس لهم به، إنهم محفوظون فلا نتعرض لهم إلا نادرًا وبأمر مني، أما الطائفة الثالثة والأخيرة وهم أصحاب النفس المترددة بين النور والظلام، يعصون ويتكبرون ويظل النور داخل قلوبهم ويطيعون ويؤمنون، وما زال الظلام يسري بدمائهم، نجذبهم تارة وتجذبهم الملائكة تارة، فإن تركناهم فلحوا وعبروا الصراط ونجو من النار، وإن تخبطناهم فشلوا وازدادوا عصيانًا وهبطوا إلى مراتبنا الشيطانية وسقطوا معنا لا بل قبلنا إلى أسفل النار، وأولئك هم أكثر من نتعرض لهم في كل خطوة يخطونها وفي كل نفسٍ يتنفسونه، وفي كل نسل يطمحون إليه، إنهم ملاذنا في كل شيء وهم أكثر أبناء آدم فتعرضوا لهم في كل شيء من دون الرجوع إلى أمري.

نظر إبليس إلى تلك الوجوه الدميمة فوجدها خائفة ترجف فاكمل:

- سنبدأ في الخفاء، وستمرُّ الأيام والأعوام ستليها ونحن على على قيد الحياة، وسيموتون هم سريعًا، أعمارنا أضعاف أعمارهم، سنرسخ في عقولهم الكفر بالخالق وتعدد الآلهة، سنتلبس كل تمثال ونسكن كل معبد، ستتغير الأحوال تباعًا لنكون نحن السادة والآلهة لهم، سنذهب إليهم في البداية، وسيركعون تحت أقدامنا متمنين الخلد، يريدون المساعدة، نسل ينسى كل شيء؛ لذلك سمنياه بالإنسان، افعل موقف مع أحدهم واتركه لسنين وعُد إليه واختبره في الموقف نفسه فلن تجده يتذكر، الخالق أعطاهم حماية من أمثالنا وأعطانا التخفي والدهاء، إنها معركة بيننا وبينهم، من يسفوز بها سيحظى بالأرض للأبد.

أشار لهم أن يقفوا وأخذ يمر من خلالهم ليصنفهم ويصنف قواهم وبعدها اختار أشدهم وأعظمهم شرًّا وحقدًا، إنه يشتمهم الآن ليعلم أي قلب به سواد أكثر، المردة والغيلان وكل الطوائف توافدت، أرادوا أن يعيدوا مجدهم والهيام في الأرض كلها، ولكن كلما ذهبوا الى مكان وجدوا أبناء آدم فهربوا سريعًا، لقد أعدهم إبليس جيدًا ودربهم على اختراق القلوب والأرواح، أعطاهم المفتاح الأعظم "السحر" الذي يجلب الأتباع بسهولة، الأتباع الذين باعوا أرواحهم للشياطين لتتخبط بهم كيفما يشاؤون، والآن وقت الملحمة التي ستستمر حتى النهاية.

سرايا إبليس قبط على البيوت مثل الشهب، أجسادهم مشتعلة، لا يصدرون صوتًا بل يصدرون نحيبًا وصياحًا، بيت هادئ به قلوب صافية لا تمر شهور حتى يتلاعب بأهله الشياطين لغدوا في شجار ونفور، هكذا طريقتهم يأتون في الليل فيجدون ملاذهم، يدخلون البيت من أضعف مكان به، يتلاعبون بأهله ويفرقون بين الزوج وزوجه.

– ما سر ذلك الجبل يا أكثر؟ لِمَ كل هذا الجمع الذي يقف أمامه في كل يوم؟ ومن بداخل الجبل؟ لماذا أتيتَ بنا إلى هنا؟ وما دخل ما يحدث بما تحاول إخباري؟

أشار أكثر إلى فوجة تُفتح في باطن الجبل ويخرج منها رجلان عظيما الجسد، جميلا الوجه، ثم قال:

– هل ترى من يخرج من باطن الجبل، إنهما "هاروت وماروت" إنهم فتنة أتيا كي يعلموا الناس السحر ومضاده،علموهم كيف يبطلون السحر الذي يرسله الشيطان في بيتوهم وفي أبنائهم وفي مأكلهم، يأخذون كل يوم أربعين إلى داخل الجبل ولا يخرجون إلا بعد شهر، يرسلونهم في كل القرى ليبطلوا سحر الشيطان والدجالين، منهم مَن يصبح أكبر صالح ومنهم من يغدو شيطانًا يؤذي الناس، كلما استقبلوا أحدًا قالوا له: نحن فتنة فلا تفتن، هل ترى يا طاهر تلك الوجوه المنكسرة التي تدخل وسرعان ما تخرج مليئة بإحدى

الشيئين، إما الخير النقي أو الشر الخام، كل مَن يدخل إلى هذا الجبل يكتشف حقيقة، وهذه كانت الفتنة وهذا كان الاختبار، هل ترى ذلك الكلب الأسود الذي يقف بعيدًا وينظر إلى كل الخارجين من الجبل، إنه أحد أتباع إبليس، ينظر إلى قلوب الخارجين ويختار أسودهم ويرسل إلى سيده ليعلمه بضم تابع جديد قد تعلّم السحر، إنها نقطة تحوُّل في حياتكم يا طاهر لا بد أن تتذكرها ولها معنى جليل، إن كل هبة تُعطى إليكم يا أبناء آدم تسيئون استخدامها على الفور وتتحول النعمة إلى نقمة عليكم.

نظر أكثر إلى السماء وقال:

– نزلتم من السماء ونسيتم واستخلفكم الخالق في الأرض ونسيتم، وانتصرتم على إبليس ونسيتم، ضلالكم سهل واغواؤكم سهل، سأذهب بك إلى أماكن وعصور كي أثبت لك أن جنسك أوشك على الفناء، لا بيد أحد بل بيد أنفسكم، سأريك لكي تعلم جيدًا ما ستواجهه بعد أن ننتهي، ادرس فكره وأسلوبه معي.

– لديّ سؤال دائمًا يُحيرني بل أكثر، لا بد له من إجابة، لماذا تفعل كل هذا مع بني جنسنا؟ لماذا لا تترك الأمور عند هذا وتذهب إلى مصيرك وحياتك؟ لِمَ تخاطر بكل شيء ومن أجل من؟ ولماذا أنا من وسط كل الناس؟

- أسئلتك لها إجابات يمكن ألّا تريحك ولكنني سأجيبك بصدق، أنا أفعل كل هذا لأنه مصيري، لقد خُلقنا لأجل هدفٍ ورسالة، وأنا وجدتُ رسالتي بعد بحثٍ طال آلاف السنين، وأُخاطر بكل شيء في سبيل أداء رسالتي، فجنسنا لا ينسى ولا يتراجع في قرار، أما عن اختيارك فستعلم أنك مَن اخترتني، وليس أنا مَن اختارك، ستدرك ذلك لاحقًا يا طاهر.

***

لعبة القدر خادعة، قد تظن أنه قدر ولكنه حقيقة اختيار.

عَقدٌ مُحرم

- لقد سعى "إبليس" إلى إتمام صفقات مع أبناء آدم العصاة ضعاف الإيمان، ولكنهم مؤثرون في مجتمعهم بشكل فعَّال فلهم من الكلام النافذ والسيرة الشهيرة ما يجعلهم محل ثقة واتباع من قومهم في مختلف العقود والمواطن، إنه حقًّا بارع في اختيار من يبرم معهم عقوده.

كلمات كانت صارخة من "أكثر" وهو ينظر إلى عيني.

- ما الذي تحاول أن تُخبرني به يا أكثر"، قلتُها بتردد ولم أكن أعي عُمق ما يريد إخباري.

اقترب مني وقال:

- كل الذي رأيته كان تمهيدًا لما ستمرُّ به الان، لقد رأيته يفعل كل ذلك، وانا مكتوف الأيدي، فلم يكن بيدي حيلة آنذاك، سنبدأ الآن وعندما ننتهي ستدرك جيدًا ما كان يرمي إليه.

ثم سكت، وقال وهو يُشير إلى شخص ظهر من العدم.

***

"النمرود"

اسمه "النمروذ بن كوش حفيد حام ابن حفيد نوح عليه السلام".

حلّق "إبليس" وأتباعه أعوامًا وأعوامًا، بحثوا فيها عن شخص يمكنه تنفيذ مخططه الأعظم بعد أن أضل أكثر الشعوب على وجه الأرض وأبعدهم عن عبادة الخالق، حتى أتى له الخبر من أحد آبائه ففرح.

هَبَطَ جسد قوي من السماء أمام عرش يجلس فوقه "إبليس" وهو مرهق بالتفكير ومهموم بأثقال إغواء أبناء آدم، انتبه "إبليس" من حضور ابنه الذي أرسله في مهمة محددة وقد عاد منها، فأشار إليه أن يتحدث. تحدث وقال:

- لقد حصلتُ على ما أمرتَ يا سيدي، لقد وجدتُ شابًّا بنفس المواصفات التي وضعتها لنا كي نبحث عن شخص يحملها، لقد

وجدتُ شابًّا قويًّا، غارقًا بالمعاصي، لا يخشى أحدًا وليس له قلب، يقتل كل يوم من حراسه ورعاياه ما يشاء، ولا يشعر بالندم، الكل يهابه حتى أبوه الملك الذي ضعفت قوته ووهن بدنُه.. يخشاه، وينفّذ له كل ما يريده.

ابتسم "إبليس" ووقف واقترب من ابنه ووضع يده على كتفه وقال:

– أرني إياه، لقد بدأ دورنا الآن في تنفيذ المخطط وطال بحثُنا حتى بعث لنا القدر هذا الشاب، أخبرني ما اسمه؟

قال ابنه بفخر المنتصر:

– اسمه "النمرود"، ولكن ما مخططك يا سيدي؟

اشتعل جسد إبليس وظهر الشرر من عينه ليرهب ابنه وبعدها قال:

– لا تتجرّأ وتسأل فيما لا يمكنك إدراكه، افعل ما أقوله واترك لي التدبير.

وفي زمن قليل وصل إبليس وابنه فوق مدينة يعلمها إبليس جيدًا وله بها ذكريات مريرة قد مضى عليها قرون فنساها الجميع إلا هو، أمر ابنه بالرحيل وتركه، وقد كان.

انتظر حتى حل الليل، وهبط إلى الأرض، وتشكّل برجل عجوز قميء المنظر، اقترب من الجدران العالية التي طالما أراد اختراقها من قبل وفشل على يد "مهلاييل"، كتبَ على بوابة المدينة بزخرفة جميلة وبلغة قديمة:

"هنا هُزم الطاغية عدو الخالق، هنا فقد جيشه ومهابته"

ابتسم ولمس بيده الجدران وقال:

- بابل.

ثم مضى ودخل عبر بوابتها العظيمة، الظلام يُخيم على المدينة بكاملها، وهناك شُعلات من النار متناثرة في شوارعها كي تضيء للمارة والحرس ليلًا، وجد هناك قصرًا مهيبًا يشعُّ نورًا من بعيد، اقترب فوجد أنه به مغنًى وارتكابُ الكثير من المعاصي، مَرَّ وسط الحراس دون أن يلحظه أحد حتى وصل إلى باب القصر وكُتب عليه بنفس اللغة القديمة وبالذهب:

"قصر كوش، ملك كل الممالك"

دخل إلى القصر ليجد أن كل من بالداخل في ثمالة وفجور، كل شيء مُباح وهناك يجلس الملك دون ملابسه وحوله الكثير من الجواري والمغنى، إنهم يحتفلون بنصر حققه جيشهم صباح ذلك اليوم

على مدينة أخرى وضموها إليهم ليصبح "كوش" يحكم أكثر بقاع الأرض ويمتدُّ ملكه إلى مرمى البصر.

لم يجد العجوز ذلك الشاب المدعو "النمرود" بحث عنه في كل القصر ولم يجده،تحدَّث مع أحد الحراس وتشكل بامرأة جميلة واستطاع أن يعلم مكانه، إنه كان في جناحه الملكي يحطم كل شيء أمامه ويقتل من يقابله من خدم وحرس أو حتى جواري ويُلقيهم في مسبح أمامه، وَجَدَه العجوز على هذه الحالة فسأله:

- لِمَ كل هذا الغضب؟

استدار الشابُ "النمرود"، وحمل حربة وألقاها ناحية العجوز دون أن يعبأ حتى بكلامه فلم تؤذه، تعجب النمرود وحمل سيفه وأقبل على قتل العجوز، نظر العجوز في عينه مباشرة وقد توقف السيف قبل رقبة رغم قوة النمرود، نظر "النمرود" هو الآخر في عين "إبليس" الذي ضحك بشدة وقال:

- نعم أخيرًا وجدتُك، لقد كنتُ أبحثُ عنك طويلًا يا هذا، أنت لا تخشى شيئًا ولا تشعر بالندم ودائمًا ما تكره من يخطف منك الشهرة والنصر، أنت تريد الملك لك وحدك وستناله.

صاح "النمرود" بقوة وقال:

- كيف تخاطبني هكذا أيها القبيح؟ وكيف دخلت إلى هنا؟.

توجَّه العجوز إلى عرش ضخم ينتمي إلى النمرود ثم جلس عليه وقال:

- أنا دخلت الجنة في أعلى سماء وعبرت عبر أقوى حارس، فكيف يكون من الصعب على أن أدخل قصرًا عليه بعض الحراس الفانون، فلتصمت وتسمع عرضي لك إن أردتَ الملك والنصر لك وحدك أو ارحل من حيث أتيت.

اقترب النمرود بشدة من العجوز وجذبه من ثيابه وقذفة بعيدًا عن عرشه وجلس مكانه وقال:

- أخبرني قبل أن أقتلك الآن أيها العجوز.

ضحك العجوز وقال:

- تصرف حكيم، ولكن قبل أن أقول لك كل شيء يجب عليَّ اختبار قلبك قبل كل شيء،إن نجحت في هذا الاختبار فسيكون هناك عقد بيننا أنت تضع به كل شروطك وأنا أضع شرطًا واحدًا فقط، موافق؟.

رفع النمرود رأسه دلالة على الكبرياء:

- حسنًا قُم بما يجب أن تقوم به وتأتِي الموافقة حسب رغباتي أنا.

غطى العجوز نفسه بعباءة سوداء بالكامل وبعدها بدأ جسده يتضخم من أسفل الغطاء وبرز له جناحان ثم نزع العباءة كي يظهر

بكامل هيئته البشعة،استلَّ الشاب سيفًا ضخمًا ووقف أمامه في محاولة للدفاع عن نفسه.

ضحك إبليس بشدة وقال:

- نعم، قلبك لا يعرف الخوف، لقد مررتَ بأول اختبار، وما زال هناك اختبار آخر من أجلي.

قال النمرود بصوت عالٍ:

- ماذا تكون أيها المخلوق الشنيع؟ أي كان ما تودُّ اختباري به افعله الآن.

رد إبليس:

- أنا من أملك تلك الأرض بكل ما فيها، وإن أردتَ مُلكًا أعطيتك إياه، ولكن عليك قتل هذه الجارية الآن من أجلي.

وأظهر له جارية تبكي من هول ما تراه.

بدون تردد اقترب النمرود من الجارية، وقطع رأسها وألقاها أسفل قدم إبليس الذي ظلّ يضحك ثم ألقى له قطعة جلد كي يمضي عليها ببعض من دمائه وقد كان.

عاد إبليس إلى هيئة الرجل العجوز والتقط قطعة الجلد التي ألقاها النمرود أرضًا بعد أن لطّخها بدمائه كما أخبره إبليس، ثم قال:

- الآن بيننا عهد، أخبرني بما تريد وأخبرك بما أريد.

وقف النمرود فوق عرشه وقال:

- أريد عرش كوش لي، وأريد جيشًا أكبر وأقوى من كوش، وأريد أن أحكم كل الأرض وكل من بها يخشاني ويهاب نطق اسمي.

ابتسم إبليس وقال:

- لك هذا وكل ما أريده أنا منك، أن تجعل كل أبناء جنسك على الأرض أن يسجدوا لك ويقدسوك، نعم هذا كل ما أريد.

وبعدها ابتسم ونظر إلى النمرود الذي لم يفهم ما يعنيه ولكنه راقه ما قال فابتسم هو الآخر.

***

مرت فترة تغيّب بها ابن كوش "النمرود" عن المملكة وعاد بعدها وبه بعض التغيرات فقد أصبح لين المعاملة على عكس عادته وتقرب من كوش وأبنائه كلهم وأصبح، هكذا لمدة ليست بالقليلة حتى اكتسب ثقتهم جميعًا وأخبرهم بمكان للصيد كان يذهب إليه وحده، وبالفعل أقنع كوش وجميع أبنائه الذكور بأن يتبعوه إلى هناك، وفي ذلك اليوم ذهب الجميع ولم يعد منهم سوى "النمرود" الملك الجديد، حيث وقع كوش ومعظم أكبر أبنائه في فخ وماتوا جميعًا بينما مَن تبقى قتلهم "النمرود" وحرسه الذين كان مختبئين ينتظرون إشارة منه، ولم

يكن هناك في العالم مسمى للفخ قبل تلك الحادثة التي بسببها تولى "النمرود" الملك من بعد أبيه "كوش" وبدأ عصره الدموي، وقد كان أول جبار على الأرض.

النمرود كان له جيش جرار أوله في أرض المعركة وآخره ينقل له الأخبار، هزم ملوك عظام وذلهم قبل أن يقتلهم بأبشع الطرق وانتهك الأعراض وأفسد في الأرض، وتجبَّر حتى قال:

- أنا ربكم.

وهنا كانت نقطة تحول فقط بدأت أحلامه تأخذ منعطفًا آخر وبدأت كوابيسه في الظهور.

وفي أحد أيام نصره بعد معركة وقف ودعا رعاياه وحشد الجميع وقال:

- لقد انتصرت اليوم على أعتى ملوك الأرض ولن يقف أمامي أحد بعد ذلك، لأنني ربكم.

وبعد أن غادر الجميع وعاد "النمرود" إلى جناحه الملكي وجد بانتظاره ملاكًا مهيب المنظر، ما إن رآه حتى استلّ سيفه واقترب منه وحاول أن يبارزه فلم يجد له بد أنه أقوى منه بمراحل ولا سلطان عليه حتى بكل جيوشه، أخبره الملاك أن يعود إلى الخالق، وأنه عبد مخلوق ككل الناس والمخلوقات، ولكنه تجبر وقال:

- احشد حشدك وأحشدُ حشدي والنصر لمن غلب.

وكانت الملحمة.

أعدَّ النمرود جيشًا جرارًا يفوق عدد أقوى جيوش الأرض مجتمعين، وانتظر قدوم الجيش الذي أخبره به الملاك في الوقت المحدد من يوم اتفق عليه، الشمس في كبد السماء ساطعة تظهر عظمة جيش النمرود وقوته الذي ظل يصيح كي يرهب أي جيش قادم كما اعتادوا، فيوقعون الخوف في قلوب الجنود الآخرين لعلو صوتهم، مرت ساعات قليلة وأظلمت الشمس، نعم لقد أظلمت وهي في منتصف النهار، لقد اختفى قرص الشمس من الأفق تمامًا وحل محله جيش محلق غطى السماء كلها، جيش لا عدد ولا حصر له، جيش أتى محلقًا وهبط في قسوة وبلا رحمة، صار يأكل في الجنود ويلتهم لحومهم ولا يتركهم إلا عظامًا بيضاء، هرب النمرود تاركًا جيشه يموت ويُقتل عن بكرة أبيه، لم ينج أحد من جنوده في أرض المعركة، وفر النمرود بمن معه من حراسة المقربون حتى وصل إلى قصره وأغلق جميع المداخل، وأمر أن يأتوا إليه بأشد الحرس ويتركوه وحيدًا.

ظهر الخوف على عين النمرود وقلبه لأول مرة في حياته الطويلة وفي حكمة الذي استمر ل400 عام تقريبًا، أعوام من العظمة والكبرياء والفساد. أعوام أذاق فيها أهل الأرض الذل والهوان وتجبر، خلع درع المعركة واغتسل ولبس الحرير ودخل إلى بهو قصره ليجد

إبليس مُتشكِّلًا بالعجوز المعتاد يجلس مكانه على العرش، اندفع نحوه وجذبه من ثيابه الرثة وقال:

- ما الذي حدث هناك في المعركة؟ ما تلك المخلوقات؟ ومن الخالق الذي يملك كل تلك القوة؟ ألم تخبرني أنك ستعطيني كل الملك والقوة في مواجهة أي أحد كان؟ لم تتركني الآن وبيننا عقد من دم؟

دفعه إبليس فأوقعه أرضًا وقال:

- من تتحدث عنه ليس لنا جميعًا سلطان على إرادته، وقد قضى أن يقتص منك وسيحدث، أما بالنسبة للعقد فأنا بريء منه ومنك، قابل مصيرك وبيننا لقاء وسط الجحيم.

ثم تبخر وترك النمرود يحطم في ممتلكات قصرة وجُنَّ جنونه، ثم حشد الناس من جديد وأمر أن يُبنى برج عالٍ كي يصعد إليه ويحارب الخالق في سمائه، ظل البناء سنواتٍ طوالًا حتى أتمه البناؤون، وصَعَدَ النمرود وجيشه إلى البرج الذي ضربته الصواعق فقتلت معظم من كان به، وفَرَّ النمرود من جديد، ولكنه عاد تلك المرة بمرض استقرَّ برأسه، أذاقه المُر والهوان، لقد أمر جنوده أن يضربوه بالنعال على رأسه عسى أن تهدأ "بعوضة" دخلت إلى رأسه عن طريق "أنفه" واستقرت به، حتى قضت علية ووقع تاج أول ملك جبار حمل التاج فوق رأسه واستمرت تلك الصفة حتى الآن.

لقد أرسل الخالق جيشًا من "بعوض" فقضى على جيش النمرود وأرسل له واحدة كي تقضي عليه، وعلى من نصب نفسه خالقًا ومالكًا للأرض، وبعد موته اتجه إبليس وأمر بإرسال جنوده من جديد كي يبحث عن جبار من جديد يُبرم معه عقدً مُحرَّمًا.

***

"فرعون"

أتت إحدى أبناء "إبليس" محمولة على أعناق أتباع لها وهي في غاية تباهيها وتكبرها إلى مكان عرش أبيها، نزلت من وسط عرشها واتجهت إلى العرش حتى وصلت أمامه، ركعت وقالت:

- لقد وجدت ما تبحث عنة يا سيدي، وجدت مَن يعتقد نفسه غير بني جنسه لا يهاب أحدًا ولا يأمنه أحد، إنه في مكان يُدعى مصر، الأرض لها من القوة والجلد ما لم أرَ مثلها قط.

وقف "إبليس" فوق عرشه واقترب من ابنته ووضع يده على رأسها وقال:

- لا وقت للانتظار، هيا بنا إلى مصر، وأنتِ يا أيتها الملكة أعدي نفسك لمهمة كبرى لم يشهدها العالم من قبل.

اجتمع جنود "إبليس" حوله وأخبرهم بأن يعدوا كترًا لم يره أيُّ آدمي من قبل ويحملوه خلفه إلى مصر ويظهروا في أشد قوهم وأبهى ما لهم، وأمر بأن يحضر معه أشد جنوده قوة وأكثرهم اتّباعًا.

حلّق "إبليس" عاليًا فوق أرض صحراء بها الكثير من الناس وهناك جيش ضخم معد لمعركة كبرى على ما يبدو. إنهم يتحركون تحت إمرة شاب صغير حديث السن، ولكنه أيضًا متروع الرحمة غليظ الكلام قصير وقوي البنية عريض الجسد، لا يقوى أحد على كسر أوامره ومن يفعل يرديه قتيلًا في مبارزة بالرماح والسيوف.

شهد "إبليس" ومعه جنوده قوة تلك المعركة التي كان هذا الشاب بطلًا بها فلم يقوى أحد على هزيمته، هو يقتل بشراسة كأنه خُلق من أجل هذا، لا ينكسر ولا ينكس رأسه، يبارز أكثر من أحد ويقتلهم متجمعين بكلتا يديه ومن دون رحمة.

استمرت المعركة أيامًا نهارًا وليلًا، لا يعطى ذلك الشاب لجنوده أو لعدوه راحة، يهجم في كل الأوقات، ولا يرتد مع كثرة عدد أعدائه، مرت الأيام وهو ما زال يقف على قدمه التي ما زالت تحمله مع كبريائه، لا يستسلم ولا يعود أدراجه، كل جنده في حيرة من خلفه، يظنُّ الكثير أنه ليس آدميًا، كان هذا مراده دائمًا، أن يشعر من حوله وكل مَن يقابله أنه ليس آدميًا بل شيء أعظم من ذلك الخلق الطيني، وقد أعجب "إبليس" بهذا كما لم يعجبه أحد من قبل.

بعد انتهاء المعركة عاد ذلك الشاب من المعركة بجسد قائد الجيش المعادي له من دون رأسه، فقد قطعه وعلقه على رمح له، عاد بجيشه الجرار إلى أرض مصر ودخل وسط شعبها رافعًا رأسه فوق رؤوس العباد، دخل إلى بهو قصر ملكي بكامل زيه العسكري وطرح جسد قائد جيش الأعداء أرضًا أمام ملك يعتلي عرشًا من ذهب وقال: "هذا من كان يلهو بحدود مملكتي، والآن هو أمام عرش مصر وتحت قدم ملكها "سيتي" أظنُّ أني قد أثبتُ جدارتي لتمنحني زمام أمور الجيش بالكامل".

وقف الملك واقترب من ذلك الشاب حليق الرأس وقال:

– ابني رعمسيس، أعينك قائدًا لجيوش مصر وأميرًا لمصر وولي عهدي.

لم يعبأ هذا الشاب لما قاله والده واعطاه ظهره وقال:

– سوف أعطي الجنود راحة عامًا، ومن ثم سأعلن الحرب على من تحالفتَ معهم، وعليك أن تعلم أنني لستُ ابنًا لأحد، أنا هنا لأنني أردتُ أن أكون هنا قائدًا للجيش وسأكون ملكًا لمصر وقتما أريد.

ثم خرج حاملًا حربة وهو ينظر إلى رأس الملك المقطوع المعلق عليها.

جلس "سيتي" على عرشه ونظر إلى جيشه خارج القصر الذي ما إن رأى "رعمسيس" خارجًا تأهبوا وأصدروا صيحات النصر وحملوه، كأنه ملكهم ويأتمرون بأمره وليس "سيتي"، أغمض عينه وقال:

– لم يأتِ على تلك الأرض من جبار مثلك يا رعمسيس.

مرت الأيام وقبل أن يتحرك "رعمسيس" بجيشه الذي أعده جيدًا وازاد عدده ليصل إلى أكثر من مائة ألف جندي مدرب تحت قيادة أعتى محارب وقائد جيش خُلق، جاء خبر وفاة "سيتي" ملك مصر في ظروف غامضة ووسط تلك الأحداث وبدء الفوضى اعتلى "رعمسيس" العرش لينهي كل الفوضى ويحكم مصر بقبضة من حديد واضعًا قوانين جديدة صارمة.

أول ما فعله لقّب نفسه بفرعون مصر، وافتخر بهذا الاسم، نقض معاهدة أبيه، وأعلن الحرب على أقوى الجيوش وقتها "الحيثيين" تحت قيادة قائد عظيم "مواتاليس"، أعد جيشًا أكثر من مائتي ألف وجهزهم بأسلحة متطورة.

صوت خطوات ثقيلة على أرض الجناح الملكي تصدر عن قدم بها بعض السلاسل الذهبية تقترب من فراش الفرعون الشاب الذي كان يغطُّ في النوم ويُراوده كابوس مُخيف "إنه وسط جيشه العظيم وهناك رُمح يعبر بين جيشه موجةً نحوه وكلما أراد أن يرفع يده كي يحمي جسده من الرمح وجدها مكبلة بسلاسل عملاقة، وقبل أن يصيبه

الرمح فزع وقام غارقًا بعرقة" وجد امرأة جميلة جالسة على طرف فراشه تحدق إليه بعين لامعة وسط الظلام، هو معروف بحبه وشغفه بالنساء وخاصة غريبة المظهر كتلك، اقترب منها دون أن يُبدي أسئلة ويتعرف بها، وقبل أن يلمسها اشتعل جسدها ووقفت وعظم جسدها وتحولت كل ملامحها وأظهرت هيئتها الحقيقية، لم يرتعد من هيئتها ونارها بل وقف واقترب منها حتى وصل أمامها ونظر داخل عينها المخيفة وابتسم وقال:

- أنا لست آدميًا كي أخاف من جنٍّ أتى من عالم يخاف أن يظهر لأناس، ولن يرهبني عالمك كله.

سمع صوتًا جهوريًّا أتى من خلفه فلم يكترث ولكنه استدار ببطء ليجد "إبليس" بكامل هيئته جالسًا على فراشه وهو مبتسم وقال:

- كما توقعتُك يا رعمسيس، شاب قوي شجاع تحمل من الكبرياء ما تحمل، ولكنه كافٍ لآدمي مثلك.

غضب رعمسيس بشدة واقترب من وجهه إبليس وقال:

- أنا لست كمثل أي آدمي، أنا هنا لأنني أردتُ أن أكون هنا، فلا إرادة فوق إرادتي، هل رأيت آدميًّا يقترب من أحد مثلكم دون رهبة كما أفعل أنا الآن.

وأزاح إبليس فأوقعه أرضًا وجلس مكانه على فراشه.

وقف إبليس وقال:

– إذن أنا أهديك كل تلك الثروة.

وأضاء شُعلة ليظهر له كنزٌ عظيم من شأنه أن يُحسِّن أحوال بلاده بالكامل وبعد ذلك أشار إلى ابنته وقال:

– وأهديك ابنتي لتكون لك مدى حييتَ، ومعها أقوى جنودي وأكثرهم سرعة.

فظهر خلفه آلاف من الجان ينظرون إليه في سخط، ثم قال:

– ولكن كل هذا سيكون مقابل هذا وبعضٍ من دمك.

وألقى إليه قطعة من جلد.

التقط رعمسيس القطعة ووقف ينظر إليها ثم نظر إلى كل من ابنة إبليس والكنز وهؤلاء الجنود،جرح كفه ولطَّخ بها قطعة الجلد وألقاها إلى إبليس الذي ابتسم وقال:

– بيننا عهد الآن، لا تنقضه كما نقضت عهدك مع الحيثيين، سأكون معك في تلك الحرب بكل جنودي.

ثم تركه ورحل هو وجنوده وترك معه ابنته التي تحولت إلى أنثى جميلة تبتسم ل"رعمسيس" الذي غضب وقال:

– لا فلتعودي إلى شكلك الأصلي فأنا لا أُخدع ولا أخاف.

مرت أعوام من حكم رعمسيس لمصر والممالك المجاورة التي سعى في احتلالها وقتل أعزّها واغتصاب أرضها ونسائها دون رحمة أو شفقة، لقد كوَّن أكبر مُلكٍ لملك على الأرض، واتجه بجيشه إلى أرض "الحيثيين" ودارت المعركة.

استمرت الحرب الطاحنة مدة خمسة عشر عامًا أذاق فيها الحيثيين أمرَّ العذاب وغزى بجيشه المتضمن جانًا كل حصون الحيثيين الذين فزعوا وهربوا بعيدًا واحتموا داخل آخر حصن لهم.

في آخر الحرب التي خسر بها كل الطرفين وتعاون الملكان مع إبليس، اتفق رعمسيس على هدنة من جديد مع ملك جديد بعد أن قتل مواتاليس وعاد برأسه.

دخل رعمسيس بحالة من العجز لأول مرة في حياته بعد أن علم أن هناك طفلًا سيولد لعبيده سيكون هو قاتله، ثار وجمع كل جيشه وكل أعوانه من الإنس والجان وقال:

– أنا إله، لا يمكن أن أموت، وهذا الكاهن الذي تنبأ بموتي ها هو" وألقاه من فوق قصر عالٍ، وأكمل: "أنا لا أموت، لن أموت إلا إذا أردتُ.

طلب من ابنة إبليس مقابلة أبيها وحدَّد الميعاد، وأتى إليه، جلس معه يحدثه عن حقيقة ما قاله الكاهن فأكد له صحة الكلام، وأنه بعث من جنوده عددًا يتجسسون وعادوا بالخبر اليقين، ثار وهاجم إبليس الذي أراه قوته وطرح رعمسيس أرضًا وقال:

- أنا أكون معك في كل شيء إلا أن أحارب معك نبيًّا مرسلًا، نعم سيهلكك نبي مُرسَل.

في اليوم التالي جمع جيوشه ودخل إلى العبيد وقتل أبناءهم وظل هكذا سنوات وفي وقت ما أتته ابنة إبليس بهيئتها وقالت له:

- لن تراني بعد اليوم، لقد تم الاتفاق، والآن أنت وحدك.

ثار وغضب ولكنها اختفت، غادر كل جنود إبليس تاركين فرعون "رعمسيس" وحده بلا سبب وبعد عدة أعوام أتى له النبي المرسل، ولم يستطع إيذاء هو طارده إلى البحر ثم هَلَكَ غرقًا كما قدر له وانتهى عقده المحرم مع إبليس الذي تركه يغرق وتركه وحيدًا، وانتهت حياة فرعون بكل كبريائه وعزته في عرض البحر الأعظم منه شأنًا.

أمر إبليس أبناءه وجنوده من جديد كي يأتوا له بخبر عن رجل أو امرأة يستطيع أن يتعاهد معهم على تنفيذ ما يخطط إليه ويساعدوه عن جهل وكبرياء لا أساس لهما، أنه دائمًا يسعى إلى عقد محرم.

***

"سناتشرب"

وسط قاعة عظيمة الجدران والتماثيل هناك ملك ضخم الجسد أسمر لون البشرة جالس علي عرش ذهبي يصيح في جنوده قائلًا:

- كيف لم نستطيع اختراق ذلك السور، لدينا من المعدات التي تستطيع تحطيم تلك المدينة وجعلها رمادًا، أحدكم يخبرني.

وقف رجل بزيٍّ حربي يبدو أنه قائد لجيش الملك قال بخوف:

- لديهم دفاع قوي ومعدات تقتل من على بعد، لديهم سهم عملاق ناري معلق أعلى ذلك السور كلما اقتربنا صوبوه بدقة على معداتنا فأحرقوها وقتلوا كل من يعمل عليها.

وَقَفَ الملك استلّ سيفًا، ثم غمسه بقِدْرٍ قريب منه به مادة سوداء، اقترب من القائد وغرس السيف في كتفه وبعدها أطاح به أرضًا وقال:

- لديك من الوقت يومان قبل أن يصل السُّم إلى قلبك وتموت، خلال تلك المدة القصيرة، عليك أن تجد لي الحل في اختراق تلك الأسوار كي أجد لك الحل لتتخلص من ذلك السم، فتلك المدينة هي سم يجري في جسد مملكتي ويجب أن تقع في قبضتي قبل أن ينفجر جنودها ويهدمون ملكي.

أمسك القائد كتفه بألمٍ وعلى وجهه نظرة خوفٍ وتوتر وقال:

- في الحال أيها الملك سناتشرب، سأحضر لك حلًّا.

ثم خرج مسرعًا، جلس الملك بعدها وصاح بكل الحضور كي يخرجوا يبحثون هم أيضًا عن حلٍّ.

كان هناك ثعبان ضخم يلتفُّ حول أحد عمدان القصر ويستمع إلى كل شيء، تبخر سريعًا وظهر بالقرب من مياه مظلمة تحمل عرشًا يجلس عليه "إبليس"، وعندما وصل أمامه تحول إلى هيئته الحقيقية بشعة المنظر وقال:

- سيدي لقد توصلتُ إلى رجل يحمل مواصفات ذكرتها لنا سابقًا.

وَقَفَ "إبليس" وأخبره أن يذهب كي يريه مكان ذلك الرجل، وأن يجلب معه كل جنوده الأقوياء فلديهم مهمة جديدة مع رجل سيكون له شأن عما قريب ويكون جزءًا من خطته.

مَرَّ يومان وعاد القائد المسموم إلى البهو يعدو وهو يصيح:

– لقد وجدت الحل يا سيدي، لقد وجدت الحل أيها الملك.

سمع الملك نداء القائد فأدخله إلى البهو مسرعًا وقال:

– من الجيد أن يكون لديك حَلٌّ لما أخبرتك به، فأنا وجدتُ حلًّا للسم الذي يسري بجسدك.

وقف القائد كان جسده أصبح طبيعيًّا وأقوى وقال:

– إن أردت هزيمة الجيش البابلي وهدم أسوار بابل العالية عليك أن توقع على هذه.

ثم ألقى قطعة جلد قديمة منقوشًا عليها رسومات وكتابات غريبة تحت قدم الملك.

نظر الملك إلى القطعة واستشاط غضبًا ورفع رأسه كي ينهر القائد فوجده أصبح عظيم الهيئة لا ينتمي لأبناء جنسه بأي شيء، وقف في عز وكبرياء واستلّ سيفه وقال:

– ماذا تكون أيها المخلوق الشنيع وكيف دخلت إلى هنا وأين قائد جيوشي؟

أصدر "إبليس" ضحكة عالية وقال:

– قائد جيشك مات بعد يوم من أثر السم، مات قبل أن يصل إلى بابل من الأساس، أما عني فلا تَخَفْ، أنا هنا كي أساعدك وتساعدني،

فلكل منا هدف، أنت تريد بابل تحت قدمك لتحكمها وتمحو هزيمة أجدادك وأنا أريد أن يركع كل الناس أسفل قدمك لأنك تملك الأرض كلها وتملك كل شيء، لأنك عظيم ولا أعظم منك سوى ملك بابل، وإذا سقطت بابل ستكون أنت أعظم أهل الأرض وملكها.

ابتسم "سناتشرب"، ولمعت في عينه فكرة التعاون مع هذا المتشكل، فلديه من القدرات ما يمكنه من دخول بابل ولديه ما يخفيه، ويعلم ما يفكر به كل الناس، ابتسم وجلس على عرشه وقال:

- أنا لا أخاف أيها المخلوق، أنا ملك هذه الأرض وسأتعاون معك لأني أرى فيك ما يمكنني من هزيمة بابل وملكها.

قال "إبليس" وهو يبتسم:

- لا أنا الذي رأيت فيك من أريده، وسأعطيك ما تريده، ولكن عليك أن توقع بدمك على تلك البقعة الجلدية.

استلّ الملك سيفه وجرح معصمه وطبع بكف يده على القطعة الجلدية سمًّا، وضع طرفها بالسم وألقاها إلى إبليس في استهزاء، ابتسم "إبليس" وقال:

- فليكن اختيارك هو قدرك.

ثم اختفى تمامًا.

جهَّز "سناتشرب" جيشًا كبيرًا وتوجه به إلى أرض بابل ووقف بجيشه الجرار أمام السور البابلي المنيع، انتظر إشارة حليفه الجديد، ولم يقترب من مرمى أسهم جيش بابل.

مرت ساعات وبعدها ظهر داخل خيمة الملك "إبليس" وقال له:

– انظر إلى دفاعات عدوك.

خرج الملك مسرعًا فوجد كل الأسهم العملاقة تحترق،أمر جنوده بأن يهدموا ذلك الجدار بمعداته الثقيلة "المنجنيق" وقد تحطَّم السور الضخم بعد ساعات من الهجوم وأدى ذلك إلى خسائر فادحة في جيش بابل الموجود خلف السور العالي الذي سقط عليهم.

دخل "سناتشرب" بجيشه وقضى على جيش بابل في مدة قصيرة ولم يتكبد خسائر كبيرة،وفي اليوم التالي من دخوله المدينة قبض جيشه على الملك البابلي وأحضروه أمام الملك الذي جلس على عرش بابل بكل فخر وأمر بأن يسموا الملك وأن يضعوه على أحد عمدان القصر ليراه الجميع يتعذب ويموت ببطء من أثر السم بجسده.

بعد مرور فترة ليست بالقليلة كان "سناتشرب" يحكم نصف الأرض وأصبح أقوى ملك بجيش لا يضاهى، وأمر الناس أن يقدسوه ويطلبوا منه الغفران، استمرَّ في الفساد وقتل من يقف أمامه.

هناك شاب لم يكن يرضى بكل ما يفعه أبوه الملك العظيم "سناتشرب"، وأراد أن ينتقم منة لأفعاله الفاسدة في الأرض، ولأنه

كان طيب القلب فطري التصرُّف،كان من السهل أن يكسب تعاطفه أي موقف يراه.

لم ينسَ "إبليس" تصرف الملك سناتشرب عندما غمس له السُّم وألقى له العهد باستهزاء، لم يجد ما يريح نفسه إلا بالانتقام منه فسعى إلى ذلك، أتى إلى ابنة "ايسارهادون" على هيئة رجل عجوز فَقَدَ إحدى عينيه، وأخبره أن الملك قتل كل أبناءه وأخذ بناته وزوجته رغمًا عنه وعندما وقف أمامه فقأ إحدى عينه وتركه هكذا ليموت مقهورًا، ظل يتشكل له ويرسل له مَن يحمله على الانتقام من أبيه حتى يوم فاض ب"ايسارهادون" ما يفعله أبوه الملك "سناتشرب" الظالم فهجم عليه ليلًا وطعنه بسيف مسموم لم يُودِ بحياته ولكنه بعد مرور يومين مات الملك من أثر السم وتولى ابنه "ايسارهادون" الحكم من بعده، ولم يجد إبليس بُدًّا له مع ذلك الشاب طيب القلب فترك تلك الأرض سريعًا وهو يفرح بانتقامه من "سناتشرب" الملك المتعجرف الذي عاش يبث السموم في أجساد الناس ومات مسمومًا، وقبل أن يرحل أمر جندًا من جنوده بأن يظل هنا فتلك الأرض ستطرح من يخدم الشيطان من جديد.

ظل ذلك الثعبان أعوامًا يجوب أرض بابل وما حولها كي يعثر على ما أخبره به سيده، حتى فقد الأمل في العثور عليه ولكنه كان واثقًا بكلام سيده الذي يخطط لكل شيء ويخطط لكل كلمة تخرج من بين روحه السوداء وجسده الناري المظلم.

وفي يوم سمع بكاء طفل زحف إلى القصر ليجد طفلًا قد ولد هو حفيد ل"سناتشرب" ظل يُراقبه حتى كبر، لقد كان يشبه جده في كل شيء، شكله وأسلوبه وعجرفته، فرح الثعبان الزاحف كثيرًا وهرول إلى سيده كي يخبره بما حدث وبمن وجده بمواصفات قد أخبره بها من قبل.

***

"آشور بانيبال"

ثعبان يراقب شابًّا في مقتبل العمر وهو ساخط على أبيه ويقول:

- كل من كانوا تحت لوائنا الآن يتجرؤون علينا ويعدون جيشًا ضدنا الآن، وأنت لا تنظر إلى الاقتصاد والزراعة ونسيت مصدر كل فخر وتباهٍ، أنت لا تستحق أن تكون ملكًا، لقد كان أبوك سناتشرب أقوى ملك وجد هنا وأعد مجدًا لم يحققه أحد من قبله وأنت الآن تقتل وتهدم حلم كل مقاتل وملك هنا بأن تترك مجدنا يذهب مع الريح، لقد ضعف الجيش وتفكك وأنت ما زلت تنظر إليَّ تلك النظرة المبتسمة،على ماذا تبتسم؟

وأطاح بقدمه منضدة يعلوها وعاء مشتعل به الكثير من الجمر وقع أرضًا وأصدر صوتًا مربكًا.

لم يبرح الملك مكانه ونظر إلى ابنة "آشور بانيبال" وقال:

- أنت تشبه جدك سناتشرب، دائمًا ما تبحثون عن مجد واه وحلم سراب وجيش جرار وظلم في الجبال والبحار، الحرية لكلٍ إنسان حق ونحن لسنا بآلهة كي نستعبدهم، أنت تفكر بشكل خاطئ يا بني، وعندما يحين الوقت كي تعتلى هذا الكرسي ستجلب الدمار كما جلبه جدك، كن حكيمًا قبل أن ينتهي بك الأمر كما انتهى بجدك.

استشاط الشاب غضبًا وقال:

- سيأتي اليوم الذي أقتلك به كما قتلت والدك من قبل، وسأستعيد كل أمجاد مملكتي، وأستعيد ملكي وأجمع رعيتي وأكوِّن جيشي وسأحارب وأضم كل أرض تطؤها قدم جندي في جيشي، وأسلب ما أريد من عبيد وخدم لي ولجيشي، أنت هنا لوقت قصير أيها العجوز الخرف.

ثم تركه وغادر واستدعى قائد الجيش على الفور في أمر مهم.

جلس الملك العجوز" ايسارهادون " مهمومًا بحال ابنه الذي وصل إليه، فكر كثيرًا أن يقتله ولكنه لم يقوَ على فعل ذلك، فهو لم يحظَ بابنٍ غيره، وكانت لعنة أبيه أصابته ورجع عن طريق ابنه من جديد، نفس الشبه في الخلق والأخلاق، في الطموح والكبرياء، في الظلم والنزعة الحربية، لم يجد حلًا آخر كي يكبح لجام غروره سوى أن يرسله بحملةٍ مُوسَّعة في أراضٍ شاسعة ضد قبائل بدائية لِيُرضي غروره.

بالفعل أرسل ايسارهادون ابنة آشور بانيبال على رأس جيش جرار إلى أرض لا تسكنها سوى قبائل بدائية وعندما وصل إلى المكان وجدوا جيشًا جرارًا مدربًا ومُعدًّا ومسلحًا أكثر منهم، تكبدوا خسائر بالغة قاربت على نصف الجيش، انسحبوا سريعًا ووقَعَ أسرى كُثر دلوا – فيما بعد – على مكان المملكة الآشورية.

عاد آشور بانيبال إلى القصر وهو مُحمَّل بالغضب من والده الفاشل حتى بمتابعة ما يحدث حوله من تقدم عسكري ووجود جيوش أخرى وقوى أخرى، أراد منه أن يصحح الأوضاع ويُعيد بناء الجيش للهجوم مرة أخرى والثأر لمن فقدوا وإعادة الهيبة من جديد، ولكن ايسارهادون لم يرد أن يُضحي بباقي جيشه ورفض.

وفي نومه تلاعب الثعبان الشيطاني بعقله وأراه أنه يقتل والده وأنه يمسك من بعده الملك، وأراه الملك يعود من جديد، وأنه سيكون ملكًا عظيمًا وسيعيد أمجادًا جديدة ويزيد عليها.

فزع في بادئ الأمر، ولكنه حلم بهذا عدة مرات، ذهب إلى كاهن كي يخبره برؤياه وحلمه، تشكل الثعبان بهذا الكاهن وأخبره أنها رؤيا يجب أن ينفذها كي يُعيد ملك آشور ومجدها.

أحضر آشور بانيبال قائد جيشه واقتحم قاعة الملك وذهب إلى أبيه ثم قتله وقطع رأسه وأحرقه وجلس بدلًا منه على العرش، وأمر بتجنيد كل الذكور إجباريًّا.

زحف الثعبان سريعًا إلى عرش إبليس وأخبره بهذا الخبر المنتظر وهذا الشاب الذي يشبه جده، وقد توقَّعه سيده إبليس، فرح إبليس كثيرًا مما سمع واتَّجه إلى آشور لتوقيع عهده المحرم كما يفعل دائمًا.

بعد فترة قصيرة أعدَّ آشور بانيبال جيشًا ضخمًا وجهزه بمعدات حربية ثقيلة، وأرسل جنوده ورسله إلى كل الممالك من حوله كي يخبرهم أن ينضموا لملكته وإلا قضى عليهم، منهم من رفض فانتهى المطاف برأسه على رمح ومنهم من اتعظ وانضم رغمًا عنه.

اتفق معه إبليس أن يُعاونه بعد أن وقع على قطعة جلد عفنة وأرسل له من بعد ذلك جيشًا من الجانّ يُعاونه، وكان سببًا في نصرة في عدة مواقع، كلما هدم سورًا أو هزم جيشًا ضمه إليه وأعلن أنه الإله ولا أحد يقوى عليه.

هزم الكثير ونقض العهد مع كل حلفائه واحدًا تلو الآخر حتى وصل إلى البحار، لم يردعه هول البحر عن المجازفة والهجوم على قوم من خلف البحر ولكنه اصطدم بجيش قوي مثله.

حلّق إبليس عاليًا ونظر إلى الملكين العظيمين أحدهما آشور بانيبال، والآخر ملك له عهد مع إبليس هو الآخر، كان إبليس يعاون هذا وذاك في آن واحد وهو مبتسم وسعيد لسقوط أبناء آدم كالحشرات من أجل وهم المجد والكبرياء والمُلك.

اشتدت الحرب بين الجيشين، تكبدوا خلالها خسائر كبيرة لا حصر لها ونسوا مملكتهم وتجمعوا بكل قوتهم في أرض معركة بعيدة عن أوطانهم، نسوا من يتربص بهم، انقلبت عليهم الأمم، وفي النهاية أطاحوا بهم وبكل ملكهم وقتل آشور بانيبال وألقوا برأسه في حفرة نار ليلقى مصير أبيه.

حلّق إبليس وهو يضحك بصوت مرتفع ويقول:

– في القريب سأعود وأُبرم عقدً جديدًا مع شخص يستحق عقدي ومصيري.

***

"شيشرون"

لمعت عين إبليس يوم مولده وأرسل سراياه تبحث عن مصدر هذا الصوت لبكاء طفل أتى كي ينفذ جزء من مخطط إبليس، لقد كان في انتظاره، أطلق عليه السفاح الصغير.

طفل في مقتبل العمر لا يلعب مثلما يفعل من في عمره يجلس بجانب أبيه على العرش ويزاحم القادة في الرد والرأي، فكره أكبر من سنه، ووعيه بما يدور كبير، لاحظ ذلك والده وأصبح مستشاره في مرحلة متقدمة من العمر، وعندما شَبَّ وأصبح له من السلطان، كان يعدم من يخطأ في قدر بسيط أو يخالفه الرأي، واشتُهر بالقدر المغلي من الزيت يُلقي به من يريد إعدامه، أعجب به والده وأعطاه قيادة لواء جيش السلطة من بعده رغم أنه لم يكن أكبر أولاده، إخوانه يخافونه بشدة ولا يخالفون رأيه مهابة ردة فعله غير المتوقعة.

في عقده الثاني قاد حملات وهزم الكثير من الجيوش ذات الثقل في المنطقة، اسمه كان يُرهب أي قائد جيش لمهارة في استخدام الجبال واختيار الأماكن الاستراتيجية وأوقات الهجوم ومهارة الانسحاب، إنه لا يتوقع لذلك لم يهزم قط.

لم يكن يُرضيه أن يحيا خلف رداء أبيه، وأن ينسب كل هذا النصر إلى اسم والده ويخلده التاريخ، قرَّر أن يسافر في مهمة سرية بحثًا عن الشيطان الذي كان يبحث عنه في ذلك الوقت، ولم يكن لأحد سابقة في بحثه عن الشيطان مثل "شيشرون السفاح".

قبل أن يعدَّ لرحيله المفاجئ بحثًا عن قوة يمتلكها الشيطان، قابَلَ أحد كهنة المعبد وأخبره أن الشيطان يبحث عنه ويتوق إلى رؤيته ولكنه لا يمكن أن يسعى إلية إلا بسعي شيشرون إلى الشيطان بنفسه وأخبره أن هناك اختبارًا يجب أن يمر به، ودله على المكان الذي يمكن أن يجده به.

لم يكن هناك كاهن ولم يكن هناك مكان يمكن أن تجد به إبليس، لكنه كان أحد أبناء إبليس الذي أوهم شيشرون أن الشيطان يمتلك ما يريده من قوة وقد نجح.

ارتحل وحيدًا على الوصف وكلما مر وسأل أحدًا على الطريق ودله قتله كقربان لإبليس كما أخبره الكاهن، حتى وصل إلى المكان المقصود، كهف مظلم قارس البرودة وذئاب تسكنه وتحيط به، معركة

أنهاها في ساعات وتمكن من العبور وهو ينزف من عدة هجمات من الذئاب التي هاجمته بشراسة قبل أن تصبح جسدًا فانيًا، عرش مهيب ورائحة مقززة وجسد مخيف يجلس فوقه وهو يبتسم ويخطف بعينه لمحات كالبرق.

لم يرَ إبليس أشجع من هذا، سار بصعوبة حتى وصل إليه وجذب يد إبليس وقبَّلها، وقال له أعطني قوتك وإلا قاتلتُك من أجل تلك القُبلة على يدك، ولن أهدأ إلا إذا رجعت بقوتك أو بيدك.

لقد نجح في الاختبار قبل أن يختبره إبليس، لوهلة نظر إليه إبليس بإعجاب، ولكن كرهه لذلك الجنس أعاده إلى رشده وقال:

– العقد هذا ملطخ بدمك وقوتي ستكون بيدك.

أمسك شيشرون ومسح العقد بدمائه التي تنزف فتألم كأنما تلك القطعة تكوي جروحه التي يسيل منها الدماء وعندما أمسك بها إبليس اختفى وقال:

– ستراني معك في كل خطوة أتباهى بحسن استخدامك لقوتي التي استحققتُها.

أخذَ طريق العودة شهورًا وعندما وصل علم بوفاة والده وبسبب تأخُّره تولَّى أخوه الأكبر الملك وجلس على العرش وبسبب ضعفه خسرت بلاد فارس وجيشها الذي لا يقهر حربًا ضد بابليون.

غضب بشدة وتوجَّه مباشرة إلى القصر منعه الخراس بأمر من أخيه الذي أراد الفتك به وقتله لطمعه في العرش، صرع شيشرون الحراس ومن خلفهم حتى وصل إلى أخيه وقال: "أنا لن أقتل مَن خرج من ظهر أبي وسأخيرك، أن تغادر خارج البلاد أو أن تُلقى نفسك في قدح الزيت" هرب أخوه إلى خارج بلاد فارس واحتمى ببابليون وأصبح أول خائن يُعرف بالتاريخ.

قبض شيشرون على حكم بلاده وأعلن ملكه على فارس، وأقسم على تكوين أكبر إمبراطورية في العالم، وأن اسمه لن يكون اسمًا ينساه التاريخ وسيمجده، أعد جيشًا جرارًا ودرَّبه بنفسه وضمَّ له السحرة والكهنة في سابقة لم تحدث من قبل، وأعلن أن جيشه أصبح يضم الجان والمسوخ،لم يفكر أحد قبله في ذلك،اختار أشد المقاتلين وأقواهم في جيشه وألبسهم ثيابًا حربية تظهر قوتهم وشوَّه وجوههم التي تؤكد أن بجيش فارس وحوشًا وجانًا، وأُذيع الخبر قبل كل حرب ليرهب نفوس جنود الأعداء وقد كان، بعد فترة من الحروب وكثرة أعداد الجنود الذين سعوا بأنفسهم في تشويه وجوههم لمكانتهم العالية في الجيش والحرب، استسلمت جيوش بالكامل قبل الحرب خوفًا من الجان والمسوخ الذي يضمهم شيشرون السفاح في جيشه ويسيطر عليهم، لقد كان ماكرًا.

حلم شيشرون بثلاث مدن استعصى عليه هزيمتها لكثرة عدد جيوشها وموقعها بين جبال وخلف أسوار ضخمة "ليدا، ميديا، بابليون" ولم ينسَ ثأرة من بابليون التي هزمت جيشه في غيابه.

أمر كشافته من الجيش في الذهاب إلى تلك المدن القوية الثلاث والعودة بمواصفات لما يحيط بهم من تضاريس، وجبال واستعان برجال الجن في ذلك وبعد فترة اجتمع أمامه خريطة تمثل الثلاث مدن والتضاريس التي تحيط بهم وعاد له أحد أتباعه بخبر أن المدن الثلاث تحالفًا ضده.

كان هدفة الأسمى هي بابليون المحصنة ولا سبيل للوصول لتلك الأسوار إلا بهزيمة ليدا في البداية وبعدها ميديا ثم الانفراد ببابليون، أعد جيشين وحاصر بهما المدينتين "ليدا وميديا"، فأرسلوا في طلب جيش بابل العظيم فخرج بالفعل لنصرتهم وقبل أن يصل إلى موقع المعركة، انسحب جيش شيشرون وتجمَّع في أقل من شهر أمام أسوار بابليون وكوَّن جيشًا واحدًا عظيمًا.

أربك شيشرون جيش بابل وأخرجه خارج أسواره العالية وقبل أن يصل ويلتحم بجيش شيشرون كان قد انسحب من جديد مستترا خلف جبال عالية اكتشفها أحد كشافته.

ظن بابليون أن شيشرون سحب جيشه وبحث في مناطق قريبة منة، أرسل ملك ليدا وميديا في طلب الجيش البابلي من جديد بسبب

هجمات متقطعة من جيش شيشرون الذي كان يرسلها في سرايا قليلة العدد، ارتبك الملوك الثلاثة وتساءلوا:

- أي جيش هذا الذي يحارب على ثلاث جبهات ولم يرَ أي جيش يلتحم به، إنه جيش به شياطين ومسوخ كما قيل.

ارتبك جنودِ المدن الثلاث وازدادت الإشاعات التي أذكاها إبليس وجنوده في نفوس الجنود مع بعض الحوادث كظهور مردة في أجزاء الليل للجنود أكدت ما كان يقيل.

سحب شيشرون جيشه والتف حول مدينة ليدا وحاصرها بجيش مهول واستعان ب"المنجنيق" في هدم أسوارها حتى استسلم ملكها وانتحر من فوق سورها العالي خشية من ملاقاة شيشرون السفاح، وقت ليدا في يد شيشرون ولم يبقَ إلا ميديا وهدفه الأعظم بابليون.

تلك المدينة المقامة فوق جبل عالٍ ومحاطة بجبال تحميها من "المنجنيق" فهنا هو أقل فاعلية، استمرَّ حصارها لشهور لم يستخدم فيها شيشرون كل قواته بل سعى لتعزيز عدد جيشه في احتلال بلدان مجاورة استسلمت من تلقاء نفسها خوفًا من بطش شيشرون وأعلن ملوكها الولاء وانتماءهم إلى جيش فرس وإرسال جنوده وجيشهم تحت لواء شيشرون الماكر "الساعي إلى الشيطان" كما اشتهر وسط جيشه هذا.

جلس شيشرون داخل خيمته بالقرب من مدينة ميديا المحصنة وقال: "أي ذكاء هذا! لقد اختار ملكها الذي أسَّسها أقوى بقاع الأرض تحصينًا ولو حصلت عليها ستكون برج لفارس لا يقهر"، أخذ يفكر أيامًا ثم استدعى أحد أمهر جنوده، وأمر بإرسالهم إلى أعلى مناطق في بلاد فارس وتعليمهم تسلق الجبال وهم يحملون أوزانًا ضخمة، أرسل قائد الجيش للملكة 1000 مقاتل قوى البنية كي يختار بينهم فاختار أشدهم وأقواهم وأرسلهم كي يتدربوا في خلال ثلاثة شهور كحدٍّ أقصى.

وبعد أن عاد منهم من عاد أمر ببناء "منجنيق" أعلى كل جبل وتكوين ثكنة عسكرية دائمة بتعليم جيشه كافة التسلق وقد كان فبعد شهور قليلة تم بناء قواعد فوق كل جبل، وأصبح هو يعلو مملكة "ميديا"، إنها تحفة فنية لم يرد تدميرها، فأخبره أحد أطبائه أن هناك مرضًا ينتشر ووباء إذا استخدمنا الحيوانات النافقة وأرسلناها إلى داخل المدينة عبر "المنجنيق" فوق كل جبل، إنها فكرة شيطانية أخرى.

أمر شيشرون بإحضار كل الحيوانات النافقة داخل إمبراطورية وقذفها في وقت واحد ولمدة 3 أيام متتالية كانت تمطر سماء "ميديا" بالحيوانات النافقة وأصيبوا بأمراض ومات معظمهم بسبب الحصار الذي يفرضه شيشرون عليهم ولم يستسلموا حتى مات ملكهم بالطاعون وفُتحت أبواب المملكة الحصينة، أما أطباء شيشرون في بادئ الأمر ثم إلى جيشه بعد الانتهاء من معالجة الجميع وضمهم إلى إمبراطورية فارس وإلى جيش شيشرون.

سقطت "ميديا" الهدف الثاني لشيشرون ولم يتبق إلا بابل بأسوارها العالية وأخوه الخائن الذي يعلم كل ما يفكر به أخوه الأصغر ويتوقع تحركاته حتى أصبح مستشارًا حربيًّا لملك بابليون.

لم يكن جنود يستطيع سيشرون أن يفعل ببابليون ما فعله مع ليدا وميديا، أن يقذف أسوارها ب"المنجنيق" بسبب تلك الأسهم العملاقة المنتشرة على أسوارها العالية فهي بعيدة المدى في التصويب، وأن يمطرها بحيوانات نافقة لأن لديهم تقدمًا في الطب وسيستغرق الأمر لسنوات دون جدوى، الجيش الفارسي يقف مكتوف الأيدي أمام أسوار عالية محصنة لأول مرة في تاريخ شيشرون، جلس مهمومًا يفكر فمكوقه هنا يحاصر مدينة تحيا بأمان غير عابئة بذلك الحصار ما هو إلا إنهاك لجيوشه وموارده، وسيضعف من سيرة جيشه أمام أي عدو متربص كجيوش مصر الفرعونية ويهدم معنويات جيشه الذي لم يذق طعم اليأس منذ فترة.

– لا مجال الآن للرجوع أو الانسحاب يا شيشرون، إنه حلم وسيتحقق، فكر بعمق وستصل.

كان يحدّث نفسه بتلك العبارة في كل مرة يقف أمام موقف محير، وبعد شهور أمر جيشه أن ينسحب ما أدى إلى سعادة بالغة وارتفاع معنويات لجيش بابليون وخيبة أمل لجنود فارس الغفيرة.

في سرية اجتمع مع مستشاره في أمور البحث عن مناجم الذهب والفضة وقال له:

– أريد أكبر عدد من العمال الذين يمتلكون الخبرة في الحفر والتنقيب كي يدربوا بعضًا من أفراد الجيش في أمر ما.

وبعد سنوات من التدريب في سرية كاملة وبعد أن اطمأنت مدينة بابليون وملكها لنية شيشرون في الهجوم،عادت إلى الحفلات والرقص وعينوا الخائن في منصب قيادي وأغدق الملك عليه بالمال والجواري.

في فجر يوم من أواخر أيام عمر شيشرون أمر قادة جيوشه بالاستعداد للحرب على بابليون والتحرك، أذيع الخبر ووصل إلى بابليون وأعدَّ ملكها جيشًا قويًّا خلف أسوارها العالية وزاد دفاعات السور ورماة الأسهم كما لم يفعل من قبل، لقد أحس أن تلك المرة شيشرون لديه خطة ما، أما الخائن فقد طمأن الملك أن الأمور ستسير كما سارت من قبل، ولكنه في نفسه يعلم أن شيشرون قد أعدَّ لسقوط بابليون بكل قوته.

شهور من الحصار المستمر وبعض المناوشات التي ينتج عنها خسائر تنذر أنها تعطى طابع وجود جيش مستعد لسقوط بابليون واقتحامها في أي وقت.

أمر شيشرون أن يخطب في جيشه رغم مرضه الظاهر عليه وأعدَّ وضعية الهجوم بكل قوتها وزاد عدد الجيش بكل ما يملك من قوة وقال:

- بعد ساعات قليلة سيسقط هذا الجدار العظيم من تلقاء نفسه وسيكون خلفه جيش مذعور سيأخذ بعض الوقت لاستعادة رشده، إنه جيش قوى ولكننا أقوى، إنهم جيش مدرب ولكننا مدربون على كل شيء وأكثر منهم ذكاء، إنهم يدافعون بشراسة ونحن نقاتل بكل قوة وبلا رحمة.

وبعد أن أنهى عبارته الأخيرة مرت دقائق وانهارت أجزاء كثيرة من السور في وسط ذهول من الجيشين اللذين لم يتوقعوا هذا، وأمر شيشرون بالهجوم السريع والقذف المستمر "بالمنجنيق" حتى هدم معظم أجزاء السور وبعدها أرسل الرماة بأعداد هائلة وهجم بكل قوته وفي أقل من يومٍ دخل شيشرون محمولًا على فراش الموت إلى قاعة الملك وجلس على عرش بابليون وأمر بإحضار القدح المغلي وأمر بإلقاء أخيه وكل ذريته في القدح وبعدها إلقاء الملك وكل قادة جيشه، ومات وهو جالس على عرش بابليون مسود الوجه يبكي من غير سبب معلوم للجميع.

لو لم يكن إبليس يكره ذلك الجنس لكان بكي على شيشرون أقولها لك بصدق، فأنا أعلم ما يجول برأسه وجسد أخي النارية.

***

"داريوس الأول"

داريوس الأول أو "العظيم" كما أطلقوا عليه وأحب أن يُطلق عليه، أنه جبار متمرد عديم الرحمة، يشبه أباه شيشرون في كل شيء ما عدا ذكاءه، إنه تولى الحكم في عقدة الثالث وقتل كل إخوته خوفًا من الانقلاب وقتل كل قادة جيش والده خوفًا من العصيان، لم يرث من والده أي شيء إلا جيشًا قويًا وعهدًا محرمًا أبرم في أيام والده الأخيرة.

بعد موت أبيه بشهور وبعد أن تولى بنفسه قتل كل من شك في ولائه ومن أحس بتهديد له أمر أن يجتمع بقادة جيوشه وكل مستشاريه وقال:

- سأقسّم كل الإمبراطورية إلى عشرين منطقة تخضع لحكمي وأريد أن أنعش اقتصادي وتجارتي الداخلية، لا أعتمد على عدوي في

بناء اقتصادي، كل من يحيط ببلاد فارس فهو ملك لفارس وملكي، أنا آمر كل قادة جيشي في التوسع المستمر حتى أكون أكبر جيش في هذا العالم وبعدها هدفي الأسمى "مصر، أثينا" لن أتراجع عن أهدافي لأنهم يشكلون أكبر خطر على مملكتي، ولن أكون ضيق الطموح كوالدي في أن أقضي عمري في إسقاط ثلاث ممالك صغيرة، أنا أُخضع إمبراطوريات تحت قدمي فلتعملوا على ذلك أو تموتوا.

صفّق له إبليس وهو في غاية السعادة، لقد كان في نسل شيشرون من هو أطمح منة وأكثر منة نفعًا لمخطط إبليس، سيراق الكثير من الدماء بسبب غباء هذا العظيم "داريوس".

رأى داريوس أن أكثر ما فعله أبيه شيشرون نفعًا لإلقاء المهابة في قلوب الجيوش المعادية هو إعداد المسوخ وتشويه الوجوه، فتفنن في ذلك، وأغدق على كل من حول نفسه إلى مسخ وأتى له بعدد كبير من الرؤوس المقطوعة بعد كل حرب. أعد سرية كاملة من المسوخ وعين عليهم قائدًا لهم لا ينتمون إلى الجيش أو قادته بل ينتمون بشكل مباشر لداريوس العظيم، ألبسهم ملابس تبرز أجسادهم وصنع لهم أقنعة مخيفة تُخفي تحتها أوجهًا أكثر رعبًا تظهر وقت المعركة، فهم مدربون على الفتك والقتل بأبشع الطرق، يظهرون وقت المعركة على غفلة،تسببوا في الكثير من النصر وانسحاب الجيوش واستسلامه في كثير من المواقع، اكتسب بهم الجيش الفارسي صيتًا واسعًا ورهبة كبيرة في قلوب الجيوش المعادية.

أعد فرعون مصر في وقت قصير جيشًا للهجوم على مدينة بالقرب من إمبراطوريته القوية في ذلك الوقت، وعلى الجانب الآخر كان داريوس العظيم يعد جيش للهجوم على نفس المدينة، وصل لها أولًا جيش فارس، واستولى عليها بسهولة وتفاجؤوا بجيش جرار يحمل أسلحة وجنودًا مدربين على كل شيء ويستخدمون الكمياء والسحر في الحروب، فُزع جيش فارس وهُزم لأول مرة من قرون واستولى فرعون وجيشه على المدينة، وعلم أن بهذا ستقام حرب لم يشهد التاريخ مثلها، فأحضر كامل جيشه إلى تلك المدينة.

وصل الخبر إلى داريوس العظيم وغضب بشدة واستعان ب"إبليس" كي يشاركه الحرب، ولكن إبليس رفض أن يساعد أي من الطرفين، وقال: أكثركم نفعًا لنا نقف بجانبه، استخدم السحر كي نكون معك وقد فعل وأدخل السحرة في كتائب الجيش.

أعد أدريوس جيشًا عظيمًا لمواجهة جيش عظيم آخر لفرعون وتحرك به نحو المدينة البائسة التي هدمت جدرانها وأصبحت لا وجود لها بعد اتخذها الملك الفرعوني ثكنة له ولجيشه الذي ما زال يتوافد بكثرة، إنها معركة فرض سيطرة وإظهار من هو القائد والملك الوحيد في تلك المنطقة.

وما إن ظهرت بوادر جيش داريوس حتى هجم الملك الفرعوني بكل جيشه دون أن يُبدي أي رغبة للسلام فلا وجود للسلام بين طاغيتين في مكان واحد، دارت المعركة وتكبد الجيشين خسائر لا تحصى، لقد أصبح لون الرمال أحمر بدلًا من الأصفر، أصبحت الدماء تسيل كالماء الذي انفجر من باطن الأرض، انسحب داريوس إلى مواقعة وانسحب الملك الفرعوني إلى ثكناته وبعد عدة شهور التحموا مرة أخرى في مشهد أقوى وأشد، خسر الجيشان نصف جنودهم وأرسل داريوس في طلب للصلح مع الملك الفرعوني وتم الاتفاق الوهمي الذي لم يكن جديًّا من الطرفين، فما إن عاد كل منهم إلى عرشه قطع المعاهدة، وبدأت المعركة الفاصلة من جديد، أحضر داريوس سلاحه الخفي "المسوخ" وأدخلهم بشكل مفاجئ عن طريق البحر، فالتفوا حول الجيش الفرعوني،وأحرقوا مراكبه الحربية وكبدوه خسائر وكانت الغلبة لفارس على حساب الجيش الفرعوني الذي انسحب برًّا وعاد سريعًا إلى مصر قبل أن يتحرك الجيش الفارسي إلى العاصمة ويحتلها، وبالفعل عاد الملك الفرعوني، وأعاد تنظيم جيوشه، وصد هجمات متتالية من "المسوخ" وكبَّد الجيش الفارسي خسائر، فانسحب داريوس إلى تلك المدينة، وأقامها فارسية وترك بها جيشًا جرارًا وأحس بانتصاره الأول على مصر وفرعونها وطمح أن يحتلها، ولكنه أيقنَ أنه لن يتمكن منها وهي بكل تلك القوة فتوجه بفكرة إلى أثينا ومدنها المتفرقة واستغل الخلافات بينهم وبدأ بالهجوم الشرس.

سقطت أثينا بلدة تلو الأخرى تارة بالخيانة وتارة بالاستسلام وتارة بالخلافات، وانسحاب جيوش موالية لبعضها البعض، أصبح داريوس يمتلك سيلًا من الجنود بعد أن أدخل النساء إلى الجيوش فأصبح يمتلك جيشًا من المقاتلات النساء ضعف جيشه من الرجال، وأدوا بشكل جيد، وأصبحن في القيادة في بعض الأوقات، لم يقف داريوس أمام مدينة إلا وسقطت في أشهر أو بحد أقصى سنة حتى وصل إلى "سبارتا" كانت مثل السيف في رقبة جيش داريوس العظيم حتى أنه عرض علي ملكها منصبًا قياديًا في جيشه، ولكنه رفض، لقد صد جيش "إسبارتا" الذي لم يتعدَّ جنود ال10000 الأف مقاتل هجمات لجيوش داريوس، وكبدوهم ما لم يكبدهم جيش من قبل، حتى حضر بنفسه على ظهر حملة بحرية عظيمة لم يسبقها في التاريخ عدد أو قوة وحطموا الأسطول الخاص ب"إسبارتا" واقتحموا جيشها الذي إستبسل حتى أبادوهم جميعًا وقتلوا ملك "إسبارتا" بأبشع الطرق وبعدها أطلق داريوس على نفسه "العظيم والإله"، وأحس بضرورة وجوده في الحروب بنفسه كي يكون هو الدافع الأقوى لجنوده ولكتيبة "المسوخ".

كان قرارة صائبًا وغبيًا في نفس الوقت، لقد كان وجوده أكبر دافع وسبب في الكثير من الانتصارات، ولكنه كان يمتلك غرورًا ملأ الأرض كله وكبرياء لا يستحقها، فكان يترك نفسه كثيرًا دون حماية عندما يطلق "المسوخ" إلى أرض المعركة.

علمت إحدى مدن أثينا بما يدور ولم يكن هناك شيء يخسرونه فكان جاريوس لا يُعفو عن أحد ويُبيد أي مدينة يدخلها ويأسر نساءها وأطفالها ويضمهم إلى جيشه، فقرروا أن يركزوا على داريوس وموكبه في مقابل أي ثمن لأنة عندما يطلق "المسوخ" يظل بحراسة ضعيفة لاعتقاده أنه إله لا يقتل وأنة قوي عظيم لا أحد يُضاهيه قوة.

وقد كان انتهزوا خروج "المسوخ" إلى الحرب وهجموا على موكب داريوس العظيم وقتلوا كل حراسه الأقوياء للغاية وفتكوا به ورغم أن جيشه انتصر فإنه انكسر عندما رأى رأس داريوس "العظيم" على رمح أحد جنود أثينا وانسحبوا من كل أثينا بعد أن استولوا على كل شبر من أرضها، وانتهت سلطة فارس إلى فترة ليست بالقليلة حتى عادت من جديد في زمن آخر.

صفق إبليس مرة أخرى لداريوس العظيم وأشاد بغبائه وغروره وسط عشيرته وجنوده وقال:

– لم أكن أتوقع أن يفعل هذا الغبي أكثر مما كنت أطمح فيه، لقد تسبب في قتل عدد لا يُحصى من أبناء الطين وسيكونون معنا في رحلتنا إلى النار.

ثم عاد إلى عرشه في انتظار الذي يستحق العهد من جديد.

***

"دراكولا"

ملك ينظر إلى ابنيه الاثنين، وهما بحوزة جنود يأخذونهما بعيدًا، هناك طفل صغير خائف ويبكي والآخر أكبر منه سنًّا متمالك نفسه لا يبكي، ولكنه ينظر إلى أبيه في غضبٍ ثم يلتفت ليحدث شغبًا مع الجنود ويحاول الفكاك منهم ولكنهم يردعونه، يُركبوهما على جياد خلف أقوى جنودهم الملتحين ويعبرون غابات كتب على آخرها يافطة تحمل اسم "والاشيا".

عاد الملك إلى قاعة حكمه وسط حقد وسخط على تلك الإمبراطورية التي يتبعها ويقدم لها الولاء، وتمنى أن يتخلص منها، جلس مهمومًا بعد أن أخذ السلطان العثماني ولديه كي يتدربا داخل جيشه دليلًا على ولاء ملك والاشيا له.

أتى قائد جيشه مسرعًا وقال:

- سيدي لقد اشتبك فلاد مع أحد الجنود وقتله وسيترك أمره إلى السلطان العثماني لذلك عليك أن ترسل إليه كي يعفو عن فلاد، إنه ما زال شابًّا صغيرًا.

وقف الملك من الفزع والخوف على ولديه وخاصة فلاد ابنه الأكبر الذي ظهر عليه علامات الثقة والكبرياء مبكرًا وأمر بإرسال أحد رسلة إلى السلطان العثماني كي يشفع لابنه وسيرسل له 50 طفلًا منه والاشيا كي يكون هذا تعديلًا لخطأ طفل صغير.

وصل الركب ومعهم أطفال مقاطعة والاشيا التابعة للتاج العثماني وهبط فلاد وأخوه المذعور أرضًا وأقبل عليهم قادة الجيش كي يقسموهم إلى عدة فرق لتلقي التدريب.

أمر السلطان العثماني أن يأتوا بابني ملك والاشيا الاثنين وخاصة الذي قتل أحد أقوى جنوده، أحضر الجنود الطفلين أمام السلطان العثماني وهو يداعب ابنه "محمد الفاتح" وعندما رأى الطفلين أقبل عليهم ومسح على شعر الأصغر وأمر ابنه أن يأخذه معه كي يكون رفيقًا له وأخًا له وأقبل نحو فلاد الذي لمح في عينه نظرة شر وكبرياء خافته وأحسَّ بها بعدو داخل جدران قصرة وبيته ولكنه قال:

- أنا أعلم أنك تكرهنا يلا فلاد ولكنني أسامحك على قتل أحد جنودي، إنه قدره وستعلم أننا نريد بك خيرًا وبأخيك الأصغر.

رد فلاد وقال:

– أنا لا أريد منك خيرًا أو أجرًا، سأعود في يوم إلى والاشيا وأحكمها بعد أبي الضعيف أمامك، وسأكون أكبر مخاوفك.

نظر السلطان إلى الشاب الصغير وقال:

– ستتعلم هنا أننا جميعًا إخوة، وسأعاملك مثل ابني "محمد الفاتح" وستصفو نفسك عندما ترى الحقيقة أمام ناظرك.

ثم أمر الجنود أن يأخذوه إلى مبيته، وأن يحذروا منه.

جلس فلاد داخل مبيته الأشبه بسجن، وأخذ يصيح أنه سينتقم منهم في يوم ما ثم قال:

– إن أعطاني أحدهم قوة مطلقة سأمحو كل بني جنسي عن آخرهم ولن أُبقي منهم إلا قساة القلوب، فهم أحق بالعيش من هؤلاء الحثالة.

ما إن أنهى كلامه حتى ظهر له من وسط الظلام رجل عجوز يبتسم بأسنان قضت نحبها، وقال:

– وإن أعطيتك أنا تلك القوة،فهل ستحسن استغلالها كما قلت؟

التفت فلاد إلى ذلك العجوز في اشمئزاز وقال:

– لو لم أكن أفكر لكنت قتلتك بأبشع الطرق وأكثرها ألمًا، إلى قوة تتكلم عنها أيها العجوز؟ انظر إلى حالك.

ضحك العجوز من كلام فلاد وقال:

- أتريد أن ترى القوة التي أملكها؟ سأريك.

ثم اختفى في الظلام وخرج منها من جديد على هيئته الحقيقية في أبشع مظهر له وأقواه على الإطلاق، لم يفزع الطفل بينما وقف واتّجه إلى إبليس وقال:

- أريد تلك القوة أعطها لي.

ابتسم إبليس وأخرج قطعة جلد وقال:

- إن أردها أعطيتك إياها بعد أن تلطخ دماءك بها.

بحث فلاد عن شيء حادٍّ كي يجرح نفسه ويلطخ بها الدماء فلم يجد فغرس أنيابه في يده حتى جرحها ولطخ بها قطعة الجلد وأعطاها إلى إبليس وعينه مليئة بالشر.

أخذها إبليس في سعادة وقال:

- ستكون لك قوة فريدة من نوعها فأحسن استغلالها وسيجمعنا عدة لقاءات كي أطور من مهاراتك الفريدة.

ثم اختفى داخل الظلام.

مرت الأيام وكبر الطفلان وأصبحا شابين قويين، الطفل الأصغر أصبح أخًا لمحمد الفاتح واعتنق الإسلام وأصبح فردًا قويًّا في جيش

جرار لا آخر له، بينما فلاد أصبح أكثر عداء وكبرياء وقوة، كان شرسًا في مبارزاته وأصبح أسطورة داخل جيش السلطان العثماني فهو في المعارك لا ينتظر الأوامر بل يتحرك وحده، ويبدأ في القتال ويفتك بمن أمامه دون رحمة ولا شفقة،لا يحارب من أجل إعلاء اسم السلطان بينما من أجل نفسه وحبه في القتل ورؤية الدماء تسيل والبعض رآه يشرب من دماء أعدائه.

ازداد خلافه مع السلطان وأصبح خطرًا وجوده داخل الجيش العثماني، الجنود تهابه، هو كقنبلة موقوتة توشك على الانفجار، أراد السلطان أن ينفيه بعيدًا، ولكنه مات قبل أن يفعل ذلك وتولى ابنه "محمد الفاتح" الحكم من بعده،هو صغير السن، عاونه في الحكم وأن يمسك بزمام الأمور أخوه في التربية والإسلام وأخو فلاد، ولكن أراد فلا أن يُطيح به فوجد أخوه متأهبًا دائمًا له وكأنه عدو.

في ظروف غامضة مات حاكم والاشيا وأصبح الوارث الشرعي هو فلاد، فأرسله "محمد الفاتح" كي يحكم من بعد أبيه والاشيا وأن يستمر في انتمائه للدولة العثمانية وولائه لها.

مرت سنين واجتمع فلاد برعيته وأصدر أمرًا بمنع إرسال أبناء والاشيا إلى الجيش العثماني وأنه سيكوّن جيشًا كامل لوالاشيا وسيدربهم ويسلحهم بأقوى الأسلحة وأكد أنه ليس وحيدًا فمعه من يساعده ويعطيه القوة.

بالفعل كوّن فلاد جيشًا عظيمًا ودربه على أبشع أساليب القتل والعذاب، دخل حروب بغير إذن من السلطان "محمد الفاتح" وسَّع ملكه حتى كوّن جيشًا عظيمًا، ولكنه ضئيل الحجم بالنسبة لجيش محمد الفاتح.

غضب السلطان "محمد الفاتح" من أفعال فلاد ونقضه للعديد من المعاهدات، وأرسل له أن يلتزم بقوانين الدولة وسلطتها عليه، رده كان عنيف، لقد أعاد له رسله وفي رؤوسهم مسامير داخل خوذاتهم ورؤوسهم.

غضب "محمد الفاتح" وعلم أن فلاد أعلن العصيان، أرسل له جيش لإخماد ناره وإعادة فلاد إلى صوابه، ولكن مر شهر وجيشه لم يعد، ولم يعد منها أي جندي، لا بد أن المعركة حُسمت لصالح فلاد.

استشاط غضبًا وكون جيشًا جرارًا وعيَّن أخا فلاد عليه وتحركا معًا إلى والاشيا، على مشارف والاشيا كانت هناك غابة لم تكن ظاهر على الخرائط، أرسل محمد الفاتح كشافة وعادوا مذعورين لقد كانت تلك الغابة ما هي إلا جيشه مخوذقون عن بكرة أبيهم، ما هي تلك القوى التي استخدمها فلاد كي يقتل أضعاف قواته بتلك الطريقة والأبشع من ذلك أن هناك ما يزال على قيد الحياة، حرزوا ما استطاعوا ولكنهم في ضرر كبير.

أخذ محمد الفاتح القرار أن يقتل فلاد لا أن يُعيده، هم بقوة على والاشيا وجيشها الذي حارب بقوة وكبد الجيش العثماني خسائر وكان يملكون قوة خفية وغريبة، ولكنه هُزم بالنهاية وهرب فلاد.

سقطت والاشيا من جديد بيد الدولة العثمانية، وعيَّن محمد الفاتح أخا فلاد على والاشيا ولأنه الوارث الشرعي من بعد أبيه وفلاد، لم يمكث كثيرًا ومات في ظروف غامضة وسط غضب من محمد الفاتح وحقّق في موتة المفاجئ، ولكنه لم يصل إلى شيء عين أحد أتباعه وعاد إلى مقر حكمه حزن على أخيه ورفيقه طوال حياته.

مرت أكثر من سنة وظهر فلاد من جديد ولكنه أقوى واستعاد عرشه على والاشيا وأعلن العصيان واستقلال والاشيا، غضب محمد الفاتح ولكنه كان في حرب تلك المرة لفتح "قسطنطين" فأرسل له قاتل خفي من جماعة عرفت في التاريخ باسم "الحساسين" ذهب متسللًا في الليل وعاد باكرًا برأسه، وكان لهذا شيء غريب، فلاد كان أسطورة تمشي على الأرض ولديه قوة لم تُعط لأحد قبله وكبرياء لا ينكسر وعهد محرم.

حزن إبليس كما لم يحزن على آدمي من قبل، فلاد فعل أكثر مما طلب إبليس منه، فقد كان مميزًا يشرب الدماء ويقتل بأشنع الطرق وأكثرها عذابًا، لقد كان لعنة داخل جسد آدمي وقد مات، ليبحث إبليس من جديد عن شخص جديد يستحق عهده المحرم.

"جنكيز خان"

أب يحمل ابنه حديث الولادة بفخر، وهو ينظر إليه ثم يقول:

– سأسميه: "تيموجين" إنه ليس أكبر أبنائي لكنني أرى فيه مجدًا غير مسبوق واسمًا لن ينساه الزمان ولن يُوفيه التاريخ قدره.

ثم رفعه لأعلى وقبّله ثم تركه بين أحضان أمه.

توالت الأيام وبدأ "تيموجين" في تخطي مراحل الحياة والتعرض لظروفها، كان أبوه قائد لعشيرته، رجل قوي البنية يتمتع بشجاعة وطاعة قبيلة له وحُسن التصرف.

بدأت هجمات التتار تتوالى على القبائل المجاورة لقبيلة "تيموجين" فقرر والده أن يجمع كل القبائل كي يكونوا دفاعًا قويًا عن أرضهم وأنفسهم وسيساعد كثرة عددهم على ذلك، انصاعت بعض القبائل لرأيه وأبت الكثيرون، بنهاية الأمر استطاع أن يصد هجمات التتار ولم يجد العدو حلًا سوى أن يُنشئ تحالفًا وهدنة بينه وبين القبائل المتحالفة وقد كان.

لم يكن العدو التتاري باهين كي يترك الامر عند هذا الحد فعند بلوغ "تيموجين" سن التاسعة أعد التتار وليمة لقادة القبائل ووضع لهم السم في الطعام فماتوا جميعًا تاركين كل القبائل دون قادة وانتهت الهدنة ونشبت الحرب ولكنها فشلت في هزيمة القبائل المغولية غفيرة العدد.

"تيموجين" الآن في سن التاسعة من عمره وقد قرر أن يُطالب بقيادة القبيلة خلفًا لوالده، ولكن كان الرأي العام هو الرفض وتم طرده هو أمة وأخواته ومعاملتهم بقسوة، فاضطروا إلى الهروب و العيش فى البرارى.

مَرَّ "تيموجين" وكل عائلته بظروف قاسية جعلت منه صاحب قلب قاسٍ، مرت أيام وهو يبحث عن طعام حتى تعود أن تمر أربعة أيام أو خمسة دون أن يأكل هو وعائلته.

في أحد الأيام تعارَكَ مع أحد إخوته على توزيع غنائم الصيد وقتله بلا رحمة ولم يشعر بذنبه أو يتأثر حتى بمقتله ثم تركه هكذا في البراري تأكله الذئاب وهو ينظر إليه دون أي إحساس.

بالقرب من أحد الذئاب التي تنهش في جسد أخي "تيموجين" كان هناك قطٌّ أسود متوارٍ خلف شجرة وينظر بتعجب إلى ما حدث وكأنه متأثر بشدة من هذا الموقف، أخ يقتل أخاه ثم تركه للذئاب الجائعة كي تنهش لحمه ويظل ينظر إليه غير عابئ بالذئاب الجائعة أو

حال أخيه، ما سر تلك الشجاعة؟ وما سر ذلك اللاشعور عند هذا الطفل في عمر ال12 سنة؟

ظل الطفل ينظر إلى الذئاب حتى انتهت من أخيه، وانقضَّ عليها واحدًا تلو الآخر حتى قتلهم جميعًا جزاء لما فعلوه بأخيه، وأخذ يذبحهم وهو يقول: "جزاء لما فعلتم بأخي".

هرول القط سريعًا ثم اختفى وسط الأشجار وظهر بالقرب من عرش سيده، وجثا أمامه وقال: "لقد وجدت يا سيدي ما لم يجده غيري على مر الزمان والعصور".

انتبه إبليس لما يقوله ووقف وقال:

- أخبرني بما رأيت تفصيليًّا.

اقترب القط وتحوّل إلى هيئة الطبيعية الدميمة، وقال:

- 12 سنة كانت كفيلة أن يكتشف مواهبه، قتل أخاه و4 ذئاب بدم بارد.

اشتعل جسد إبليس وقال:

- أخبرني ما اسمه؟ وأين وجدته ونحن بالطريق إليه؟

أردف القط مسرعًا:

- تيموجين يا سيدي.

وصل إبليس وجنده وسط غابات كثيفة توغلوا داخلها حتى وصلوا أمام كوخ يحوي أسرة تبكي أطفالها، وتنتحب الأم على حالها، بينما يجلس طفل هو ليس أكبر إخوته، لا يبكي أو يرمش له جفن، جالس أمام النار ينظر إليها بتحدي كأنه يستمدُّ منها قوته، أصدر إبليس صوتًا لحيوان مفترس، الجميع سكت وخاف وارتعشت أجسادهم، بينما الطفل وقف في غِلٍّ وخرج مسرعًا دون أن يحمل معه ما يحميه.

خرج "تيموجين" وصاح بقوة، ليس كي يبعد المفترس بل كي يتحداه لملاقاته، انبهر إبليس من فعل طفل صغير لم يتعدَّ ال12 من عمره، ظهر له كذئب أسود عملاق كي يختبر خوفه، لم يتراجع الطفل بل اقترب مسرعًا، ابتعد إبليس وسط الغابات كي يتبعه الطفل وقد كان.

وصل "تيموجين" وسط الغابات فوجد حوله مئات الذئاب ويتقدمهم ذئب أسود عملاق تحوَّل إلى شكل آخر مخيف وأكثر بشاعة، لم يشعر "تيموجين" بخوف بل اقترب وقال:

- ماذا تكون؟ ولماذا أتيت إليّ؟

قال إبليس:

- أردتُ أن أخلّصك من كل همٍّ، وأعطيك كل دم أهل الأرض، وإن أردت أتيت إليك لاحقًا وأوقع معك اتفاقًا.

نظر الطفل إلى المسخ الماثل أمامه وقال:

- حسنًا فلنتقابل لاحقًا، كي نتم اتفاقنا، وأنا أعلم أنك أتيتَ إليّ، الاتفاق سيربحك أكثر مما يربحني.

وأدار ظهره وعاد إلى الكوخ ليكمل نظره إلى النار.

مرت أيام وهجمت مجموعة من اللصوص على الكوخ وأسروا من فيه جميعًا بمن فيهم "تيموجين" الذي قتل منهم عدة أشخاص وأصاب آخرون، أخذوه وباعوه لحاكم قبيلة من المغول كان يُعرف عنه عدم الرحمة والقسوة، عامله بقسوة وشدة، أذاقه مُر العذاب وألقى إليه الكثير من الأعمال الشاقة التي لا يتحملها 10 أشخاص فأنجزها وحده.

مرت الأيام واستغل تيموجين غفلة من الحراس وانقضّ عليه وقتله وأخذ معه رأسه وهرب وعلقه بمكان عالٍ كي يراه الجميع، ظل كالشيطان عندما يظهر تظهر الكثير من الجثث والرؤوس المقطوعة.

أتى له إبليس وسط الغابات المظلمة وأعطاه قطعة الجلد العتيقة، فغمسها في دمه وعلم عليها وأعطاها لإبليس، وانتظر منه الوعد الذي أخبره به في صغره، أخذ إبليس العهد بشغفٍ وقال:

- قوتك في جمع أعداد مهولة من القبائل التي تهابك الآن، أن تخبرهم أنك خالد ولا أحد يقوى على هزمك، اذهب واجمع جيشًا تغزو به العالم وتسفك به كل دماء أعدائك.

لمعت تلك الفكرة برأس "تيموجين" الذي لم يتعدَّ سن 19 من عمره، أرادها بشدة، عاد إلى قبيلته وطالب بزعامتها فرفضوا وطردوه وأهانوه، علم أن السلم لن يعيد مكانته قط، هبط إلى جميع القبائل المترامية، وأخذ يجمعهم واحدة تلو الأخرى تحت لواء الانتقام والمجد، أقنعهم بكثرة عددهم وقوة بنيانهم، بارز منهم الكثير وقطع رؤوسهم، أخبرهم أن الرحمة ضعف وأن الكثرة والشجاعة مجد وقوة، في أقل من عام عاد إلى قبيلته وقتلهم جميعًا كبارًا وصغارًا ونساءًا لم يبقَ منهم أحد، علق أجسادهم ورؤوسهم على حراب وطافَ بهم وسط جميع القبائل، انضم تحت لوائه عدد مهول لم يحوِه جيش من قبله، أطلقوا عليه "جنكيز خان"، أي المقدس الذي لا يُقهر وقد كان.

جسده القوي وعقله الداهية وعقده المحرم دلوه على طريق الظلم والدماء، كبرياؤه الباحث عنها وذكرياته المريرة كانت أكبر دافع لما أراد فعله.

وقف أمام جيش لا يُحصى، ليس له بداية أو نهاية، قال لهم:

- أعلم أن مَن في الآخر لا يستطيع سماعي أو رؤيتي لكنني داخل عقولكم وقلوبكم،وإن دل هذا على شيء فهو يدل على نسخ روحي داخل أجسادكم، أنا المقدس الخالد الذي لا يُقهر، بل يقهر كل من وقف أمامنا، إن أتى عليه الصباح برأسه فقد هزمنا، أرسلوا رسلي لكل بقاع الأرض، وائتوا بولائهم وطاعتهم العمياء لي، نحن نحيا كي نحارب واليوم الذي نجلسه هكذا نخسر مجدًا وكبرياء، اليوم الذي يمر

دون أن ينضم لنا قطعة جديدة من الأرض أو من السماء هو يوم خاسر، اليوم الذي يمر دون يرتعد فيه أعداؤنا من سماع اسم "المغول" أو جنكيز خان" فقد خاب فيه رجاؤنا، اليوم الذي لم يُسفك فيه دم أعداؤنا يوم لا يحسب في مجدنا ولا يضيف إلينا شيء، اقتلوا الكبير والصغير، أحرقوا البيوت ودمروا التراث، أنقاض، أريدها انقاضًا، وبعد هذا علموهم لغتنا وتراثنا.

علم "تيموجين" الذي أصبح المقدس "جنكيزخان" أن القبائل تحاول أن تتحد ضده كي تتحرر من قبضته الحديدية، ذهب إليهم وتزوج بابنة كل قائد منهم، حتى أصبح عدد زوجاته لا يُحصى وعدد أبنائه لا يتذكره، كان يُفاجأ أن أحدًا أتى له وأخبره أنه ابنه من زوجته في قبيلة ما، فيحتضنه ويقول:

- خذ سلاحًا وحربة وأثبت أنك ابن جنكيزخان، ولا تعد إلا ومعك عدة رؤوس لعدد من أعدائنا فإن لم تفعل فأنت لستَ ابني، وعندما يعود له يظل متذكرًا له ويقربه.

علم "جنكيز خان" أن جنوده الآن أصبحوا شغوفين بالدماء والحرب وأنه لا بد من افتعال حرب لإرضائهم وإرضاء غرورهم، اتَّجه إلى خرسان وأرسل في طلب ولائهم وإلا قتلهم جميعًا ولم ينسَ أن خرسان كانت سببًا في افتعال الكثير من الحروب حتى وصل إليها، فهي مَن بدأت بمطاردة قبائل التتار المعارضة لحكم الإسلاميين وسط أرض المغول، هي من بدأت الحرب،وعليها الآن أن تدفع ثم ما بدأت،

رفضَ السلطان أن يستسلم، أعدَّ جنكيزخان جيشًا وهجمَ على خرسان من كل بقاع الأرض وبعددٍ مهول حتى هزم جيشهم عن آخره وهدم كل تُراثهم وقتل كل أبنائهم ونسائهم وكبارهم، لقد أبادهم، ولم يتوقف بل أكمل إلى ما بعدها حتى وصل إلى أواسط أوروبا وبنفس الفكر، افتعل الحروب دون أسباب، حبًّا في التوسع وسفك الدماء، لقد قتل ربع سكان الأرض وقتها بدم بارد كما ترك أخاه يُؤكل بعد مقتله بدمٍ بارد.

بعد أن توسَّع وأصبحت مملكته من أرض آسيا إلى أرض أوروبا وهي رقعة لم يتملكها أحد من قبله، افتعلت قبائل في مملكته تحالفًا وأرادت الانقسام، أعد جنكيز خان جيشًا وقاده بنفسه وهجم عليهم وأبادهم جميعًا ووسطهم أحد أبنائه وإحدى زوجاته، ولكنه أُصيب بسهمٍ بجانب قلبه مباشرة، أزاله الأطباء وقالوا له إنه مسموم، ابتسم جنكيز خان وقال:

– هل مَن أطلقه عليَّ ما زال حيًّا؟

بحثوا عنه كثيرًا وأحضروه إليه حيًّا بعد أن فر من أرض المعركة، مثل الشاب أمام جنكيز خان الذي يُحتضر وهو يرتعش، اعتدل الملك المُحتضر واقترب من الشاب وقال:

– هل قصدت عمدًا إطلاق السهم إلى قلبي أم كانت مصادفة منك؟

وقف الشاب متحليًا بالشجاعة بعد أن علم أن السهم هو سبب احتضاره وقال:

– أعددته طوال الليل وغمسته بالسم وانتظرتُك طوال المعركة وصوَّبته إلى قلبك لكنني أخطأتُ، كنتُ أريد المجد وأن يكون أنا الذي قتلتَ المقدس الخالد.

ابتسم "جنكيزخان"وأصدر سُعالًا وقال:

– لقد نجحت أيها الشاب، خذوه وأعطوه إلى قائد الجيش، أنا أعيِّنه قائدًا للرماة في جيشي الجرار، وأنت أيها الشاب سيكون لك شأن من الآن، علِّم جيشي كله الرماية بمهارتك، وابتسم: لقد قتلتَ الخالد تيموجين.

***

مرت أيام ومات تيموجين الخالد "جنكيزخان" المقدس، جلس إبليس أمام قبره الذي عمل جنوده على إخفائه جيدًا وقتل كل من علم بمكانه، وقال:

– لم أرَ في حياتي شخصًا يحب الدماء مثلك، لقد قتلتَ ربع سكان العالم من الإنس والحيوان، وزرعتَ بذرة في شتى بقاع الأرض من نسلك، سيأتي اليوم ويكونون هم نهاية العالم.

ثم تحوَّل إلى ذئب، أسود وعوى بصوت مسموع وهرول بعيدًا.

***

"هانيبعل"

هل هذه الحيوانات أفيال يا أكثر؟

نظر أكثر إلى طفل يعدو خلف الأفيال محاولًا إخافتها أو اللحاق بها فقال:

- انظر إلى هذا الطفل "هاني بعل" إنه محور ما سيحدث بعد ذلك.

الطفل يتسلق شجرة عالية ثم يقفز فوقها على ظهر فيلٍ ضخم الجسد وهو يبتسم ويصيح، وهناك ملك ينظر إليه من بعيد وبجانبه رجلان آخران يبدو أنهما قائدا جيوشه ومستشاراه، قال:

- أنا أتنبأ له بمستقبل قوي، إنه يُجيد التعامل في كل المواقف، ولا يهاب شيئًا وإن كان أضخم منه.

نظر إليه أحد قادة جيش الملك وقال:

- أيها الملك حملقار برقا، أنا أرى فيه ملك مقاتل يلحق الهزيمة بجيش روما ويذيقهم الهوان، انظر إلى كيفية ترويضه للفيل.

قال الملك "حملقار برقا" وهو مبتسم:

- كما رأيت فيك قبل أن أزوجك ابنتي أيها العادل "صدربعل" فلتعدني من الآن وإن قُتلت أو مت قبل أن يشب ويصبح رجلًا أن تكمل ما رأى فيه الآن، أتعدني؟

نظر "العادل" وقال:

- أعدك أيها الملك، سترى هاني بعل في يوم هازمًا لجيوش الرومان.

ابتسم الملك وظل ينظر إلى الطفل حتى اختفى بين الأفيال.

أعدَّ "حملقار" جيشًا وعيَّن عليه "صدربعل" واتجه في طريقه إلى أرض طالما تمنى أن يعمرها قبل أن يلحق الملك بجيشه أوقفه أحد أبنائه "هاني بعل" وترجاه أن ينضمَّ إلى الجيش،وكان شرط الملك الوحيد أن يقسم الطفل على عدائه لروما ما دام ملكًا على جيش وبه نَفَسٌ، وقد كان، أقسم "هاني بعل" على هلاك روما وأخذه معه الملك في المعركة.

في معركة "هسبانيا" أخضع الملك الأعداء والمرتزقة تحت إمرته وضمهم معه وقضى على المقاومة، ولكنه لقيَ حتفه في آخر المعركة

واغتيل وسط جيشه الجرار، أكمل "العادل" صدر بعل القيادة من بعده وانتصر وعاد بكامل جيشه وزيادة إلى بلده.

تأثر هاني بعل بمقتل والده، طلب الالتحاق بالجيش وعُين ضابطًا تحت قيادة "صدربعل" تمكن من التدرج ودراسة كل الاستراتجيات وازداد كُرهه للرومان بعد أن علم أن بمقتل والده كان على يد أحدهم.

صدر بعل "العادل" سُمي بالعادل ليس من أجل شهرته في أنه كان يتحرى الدقة في نصر المظلوم بل لأنه وطد كل علاقات مملكته بجميع الممالك، ولم يكن يحتل المدن إلا لكي تزداد رقيًا وتقدمًا، في ليلة ممطرة اغتيل صدر بعل "العادل"، تم الإدساك بأحد الجنود الرومان وقتله هاني بعل بعد أن علم ما يسعى خلفه الجيش الروماني.

اختار الجيش "هاني بعل" قائدًا له وعلى الفور قرر أن ينتقم بل يدمر كل متآمر مع الرومان كبيرهم وصغيرهم، وأن ينفذ عود أبيه بأن يهلك الرومان ما دام ملكًا ومعه جيش.

فيل يثور ويحطم كل ما هو حوله داخل إسطبل لأحصنة خاصة بهاني بعل،كل الخدم والحراس لم يتمكنوا من كبت جماحه، هرول هاني بعل وقفز فوق الفيل وأمسك به حتى هدأ، هبط من فوقه وأحضر له بعض العشب وسار أمامه حتى أدخله إلى فناء قصره.

وجد مَن يصفق له، رجلًا عجوزًا بلباس روماني حربي، يبدو كأحد قادة الجيش الروماني، استلّ هاني بعل سيفه وهجم على الرجل وطعنه ولكنه لم يمت، حاول مرة أخرى لكنه فشل، العجوز حي يضحك، نظر العجوز إلى الشاب وقال:

– كذلك هو الجيش الروماني إذا هزمته عاد، الجيش الروماني كي تهزمه يجب أن تفعل شيئًا جديدًا خارج التوقعات، ثم نظر إلى الفيل وقال: إن أردت مساعدتي فأخبرني.

وقف هاني بعل وقال:

– مَن أنت أيها الخالد، مَن أنت؟ وكيف تستطيع مساعدتي، أخبرني.. لا ترحل.

وقف العجوز والتفت إلى الشاب بوجهه الحقيقي الدميم، لم يفزع الشاب ولكنه اقترب، ابتسم إبليس وقال:

– أنا الخالد، أستطيع مساعدتك كي تخلد اسمك وتهزم الرومان كما وعدتُ أباك والعادل.

ابتسم الشاب وقال:

– كيف هذا؟ أخبرني، أنا أريد أن أمحو الرومان وكلهم وكل من حالفهم وساعدهم.

ألقى إبليس لفافة من الجلد إلى الشاب، أمسكها بشغفٍ وجرح يده ولطخ بدمائه قطعة الجلد، وألقاها إلى إبليس من جديد، أمسكها إبليس ونظر اليه ثم نظر إلى الفيل وقال:

- سنغزو العالم معًا وستحظى بكل ما تريد وما أريد.

أحضر "هاني بعل" كل جنوده وأمر ببناء عدة إسطبلات واسعة وقوية السياج، ثم قاد أشجع محاربيه وقال:

- اليوم سنجمع عددًا كبيرًا من الأفيال وسأشرح لكم فيما بعد ما فائدتها.

بعد عدة شهور كان "هاني بعل" يمتلك أكثر من 100 فيل حربي مدرب وجاهز للحروب بشكل كبير، أعدَّ جيشه ودربه على ترويض الأفيال والتعامل معهم، وأكد سرية انضمام الأفيال إلى جيشه، وأمسك الكثير من الجواسيس وأعدمهم وذويهم بمساعدة "إبليس" وبعض من المخلصين من جيشه.

***

مرت شهور وأصدر "هاني بعل" بأن هناك حملة عاجلة سيقودها بنفسه عبر أكثر الجبال خطورة ومشقة وسيهاجم الإمبراطورية الرومانية، اعتمد "هاني بعل" في جيشه على ثلاثة أسلحة مستحدثة في ذلك الوقت تنم عن ذكائه وعبقريته القتالية، أولها: استحداث سلاح للأفيال وثانيها: استخدام سلاح الفرسان المدرب على أنظمة عدة

واستراتيجيات مختلفة منها الكر والفر، وثالثها وأهمها: كلمته الشهيرة التي ورثها عن والد: "دع الأرض تحارب بدلًا منك" استخدم الأرض وتضاريسها للحرب والتصدي للهجمات والهجوم بشكل مفاجئ كما فعل في حملته في جبال الألب.

قاد "هاني بعل" جيشه المكون من 300 فيل وسلاح الفرسان والآلاف من المشاة المدربين والمرتزقة المحترفين عبر سلسلة جبال وعرة "الألب" واستخدمها كدفاع له وأرسل المئات من الجواسيس لرسم الخرائط والعودة بمعلومات عدة عن العدو وتحركاتهم واستعدادهم، علم أن الرومان لم يصل إليهم خبر جيش الأفيال ولكنهم علموا بقدومه عبر الجبال المنهكة وإن كان هذا مستبعد لطول لمسافة ومشقة الوصول بجيش منهك لملاقاة جيش جاهز ومعنوياته عالية.

أرسل "هاني بعل" سلاح الفرسان للقيام بجس النبض ونجح في استدراج فيلق بالكامل، وفور أن دخل إلى سلسلة جبال الألب تفاجأ بجيش من الأفيال يفوق الأحصنة طولًا وقوة وقتلهم جميعًا وأسرَ من بقيَ على قيد الحياة، وحقق انتصارًا أول على الرومان المتغطرسين.

علم الرومان أن "هاني بعل" قد أوقع الفيلق بشرك وكان من أكثر الفيالق قوة وتحقيق للنصر، أعدوا أنفسهم جيدًا، ولكن ليس بالقدر الذي يستحقه جيش هاني بعل بقوته الجديدة وقائده العبقري في مجال الحروب، غريزته وغله يقودانه الآن لتدمير أولى المدن الرومانية وقتل كل من فيها حتى آخرهم.

أرسل سلاح الفرسان مرة أخرى للكر والفر ولكن لم يتبعهم الجيش الروماني تلك المرة فأرسل بالرماة وأصاب منهم ما أصاب وعاد بهم، توالت الأيام والليالي وهو يستفزهم ويقلل من شأنهم وفوق كل هذا يحدث خسائر بهم، أعدَّ الرومان جيشًا ضخمًا وهجموا بكل قوتهم، لم يجدوا أحدًا وسط الجبال، وعندما أرادوا الانسحاب طوَّقهم هاني بعل الذي توارى بالأفيال وسط سلسلة الجبال واعتلت سهامه الهضاب وأمطروا جيش الرومان بالأسهم حتى قضوا على نصفه، ثم تدخل سلاح الفرسان وقام بدوره وتراجع الجيش الروماني بعد أن سقط قائده أسيرًا ليجد الأفيال تطوق وتدهس جنوده وأبادهم بالكامل.

قطع هاني بعل رأس القائد وعلقه على حربة ودخل إلى المدينة واستولى عليها وقتل شعبها وأحل مكانه جيشه، بنى سورًا ضخمًا طوَّق به المدينة وساعد على ذلك الأفيال، وخلق ثكنة عسكرية يكون منها هجمات متتابعة على الرومان.

اهتز عرش روما لأول مرة على يد قائد بربري كما يطلقون عليه، يبدو أنهم ما زالوا يقللون من شأنه، أصدر القيصر بيانًا بأن يتم تجهيز جيش للتخلص من البربري كما أطلق عليه، يبدو أنهم لم يصل لهم خبر جيش الأفيال بعد أو لم يخطر على باله أنخ قطع كل تلك المسافة بجيش ضخم ومعه أفيال يمرون عبر ممرات ضيقة، عمل هاني بعل على إخفاء سره وساعده "إبليس" وأتباعه على ذلك جيدًا.

بالقرب من نهر "تسينو" بعث "هاني بعل" جواسيسه كي يأتوا له بتحركات الجيش الروماني الذي أعد جيشًا لإعادة المدينة البائسة قبل أن يتوغل جيش "هاني بعل" أكثر في أواسط أوروبا ويقترب من إيطاليا وروما، عاد الجواسيس مسرعين وأخبروا "هاني بعل" ان الجيش الروماني تحرك بعدد غفير تحت قيادة القنصل "بيبليوس" المعلوم عنه الحدة والدهاء العسكري.

أمر "هاني بعل" بإحضار قائد سلاح الفرسان وأخبره أن يناوش الجيش عدة مرات دون الاشتباك أو إحداث خسائر في سلاح الفرسان المهم، بالفعل تمت المناوشات وتمكن قائد سلاح الفرسان من جعل الرومان يظنون أن هاني بعل يمتلك أكثر من 10000 جواد وفارس، بسبب كثرة الكر والفر الذي لا يقدر جيش صغير على إتمامه.

أتت الخطة بثمارها أمر "بيبليوس" أن يخرج سلاح الفرسان الخاص به خلف المناوشين من جيش "هاني بعل" وما إن خرجوا عن آخرهم حتى تفاجؤوا بجيش الأفيال يحيط بهم ويدهسهم بجيادهم تحت أقدامه حتى أنهوا على سلاح الفرسان، أتى الخبر سريعًا أن سلاح الفرسان وقع في شرك وانهزم، لذلك تحرك "بيبليوس" بكامل جيشه محاولًا إنهاء الأمور وإعادة هيبة جيش روما إلا أنه وقع في نفس الشرك وأحاط به سلاح الفرسان والسهام ووقع جريحًا وفر مسرعًا إلى روما بعد أن هُزم شر هزيمة.

وكانت تلك المعركة ثاني انتصار كبير ل"هاني بعل" الداهية الذي أصبح يُخيف روما ويخيف سكانها حتى من نطق اسمه، لم يشعر بالسعادة أو انطفاء ناره، إنه أقسمَ على محو الرومان من على وجه الأرض وأن يريق دماءهم، وهناك مَن يساعده ولديه المقومات.

أعدَّ القيصر جيش تعداده 40 ألف جندي كي يمحو هزائمه السابقة، وعيَّن علية قنصلًا قويًّا "تيبيريوس" وخيَّم هذا الجيش الضخم بالقرب من نهر "تريبيا" وانتظر لعدة أيام حتى يعود جواسيسه بالمعلومات، ولكن في كل مرة لا يعود جواسيسه لانتشار الجواسيس الخاصة "بهاني بعل" في كل مكان تراقب تحركات الجيش وتحركات جواسيسهم.

اختار "هاني بعل" 500 من الفرسان الأقوياء وأخبرهم بالذهاب إلى مخيمات الجيش الروماني وأن يشتبكوا معهم وقد كان، توجه الفرسان وافتعلوا هجمة وهمية اشتبكوا فيها مع الجيش الروماني الذي سرعان ما تأهب وأمر قائده القنصل "تيبريوس" بأن يتم اللحاق بهم وقتلهم، دخلت الحيلة على القنصل الشجاع المغطرس وقادهم سلاح الفرسان إلى سهل ضحل بالقرب من النهر فوقعوا في الشرك وأحاط بهم جيش "هاني بعل" من كل مكان وهزمهم بدم بارد وهو يقطع في رؤوسهم واحدًا تلو الآخر متشفيًا ومستمتعًا بدهسهم بالأفيال، وتذكّر كلمات والده "دع الأرض تحارب عنك".

بعد تلك الحرب أحسَّ "هاني بعل" أن النصر حليفه وتعاظمت طموحاته، وأحس بإنجاز غير مسبوق. لقد تمكن من هزيمة أي جيش مهما يكن عدده، واستطاع قتله عن آخره دون خسائر تذكر داخل جيشه الخرافي، لم يتصور أحد استخدام الفيلة كسلاح حربي ثقيل لأول مرة في حرب داخل أراضي العدو بجانبه سلاح فرسان أشداء أقوياء كالأشباح يتميزون بسرعة، ورماة فاصلين في أرض المعركة ومرتزقة انضموا إلى الجيش وصاروا جزءًا منه.

اجتمع "هني بعل" بجيشه وألقى عليهم كلمات ستظل خالدة: "إذا أحرزت نصرًا انضم إليك الجميع حتى خصومك، إما إذا حاقت بك الهزيمة تخلى عنك حتى محبوك".

أمر "هاني بعل" بالتحرك بكامل جيشه نحو الجنوب لمهاجمة العاصمة روما من جنوبها، ولكنه تعثر داخل مستنقعات مليئة بالأمراض أفقدته إحدى عينيه، وقتلت من جيشه ما لم يستطع جيش روما قتله، تراجع بعدها "هاني بعل" إلى مراكزه السابقة متربصًا بأي تحركات للجيش الروماني.

أعد الرومان جيشًا آخر كبيرًا من 40 ألف جندي معدًّا خصيصى للقضاء على "هاني بعل" وجيشه وطردهم إلى شمال أفريقيا من حيث أتوا وأصبحوا كابوسًا للشعب الروماني وقيصرهم.

القنصل "جايوس" الذي حقق الكثير من الانتصارات وأعظمهم سيرة ونفوذًا داخل روما العظيمة، جيشه لا يُقهر وبه أقوى الفيالق التي قيل فيها شعر واحتفى بهم الشعب كأبَطال خالدين، وكان خيار روما الأخير قبل أن يصل "هاني بعل" وجيشه إلى حدود روما العاصمة وإسقاطها.

جواسيس "هاني بعل" في كل مكان حقًّا، يترصدون الجيش فرد فردًا، ويتابعون جواسيسه ويقتلوهم في سكون، منهم من يجمع عدد الجنود ومنهم من يرصد تحركاهم، ومنهم من يحدد مكان القنصل، ويعودون ويأت غيرهم بالتناوب، حتى وصل الجيش الروماني وسط المرتفعات التي يغطيها الضباب، وهناك كان يكمن رماة الأسهم المخصصون لتلك الأمور.

أصدر "هاني بعل" الأمر بالهجوم بالسهام فكبَّدهم خسائر لعدم استعدادهم وأمر سلاح الفرسان بدفعهم إلى الهلال الخاص ببحيرة "ترازايمين" فكدسهم فوق بعضهم البعض لا يقوون على الدفاع والأسهم تمطر فوق رؤوسهم والأفيال من كل جانب، سلاح الفرسان والمشاة يقتلوهم صفًّا تلو الآخر حتى آخرهم، كان نصرًا قياسيًا بكل شيء، بالوقت والفكر والعدد القليل يقتل العدد الكثير، وقع القنصل ضحية وأصبح رأسه بجانب أصدقائه الآخرين.

وصل الخبر إلى روما وهز أركانها، إن "هاني بعل" على الأبواب، اجتمع قادة الجيش وحضروا الدفاع بشكل قوي وبدأ في إجلاء المواطنين، لأول مرة من مئات السنين تقع روما أمام جيش قادم من شمال أفريقيا، جيش بربري يقوده قائد بعين واحدة، ولكنه دهاؤه يزن دهاء قادة روما مجتمعين.

أرسلت القوات الرومانية فيالق لعرقلة جيش "هاني بعل" قبل الوصول إلى روما واستمرت هكذا شهورًا لعرقلة حركته وتأخير وصوله، لكنه كان يقضي عليهم بسهولة ودهاء دون خسائر في جيشه.

أعدت روما جيشًا من مائة ألف جندي جمعتهم من كل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، ويعد أكبر جيش جمعته في ذلك الوقت بينما عدد جيش "هاني بعل" لم يتجاوز الأربعين ألفًا وهم متعبون ومنهكون وبعيدون عن الديار، دارت معركة طاحنة تقهقر بها جيش "هاني بعل" واستطاعت عدة فيالق المرور واستعادة البلدان من الجيش القرطاجي وقطع الإمدادات عن "هاني بعل" وجنده.

استمر "هاني بعل" في التقدم وهزيمة الجيوش حتى وصل إلى أعتاب مدينة روما وحاصرها،ولكنه خسر الكثير من الرجال والقادة وانقطع عنه الدعم، وتوالت عليه الكثير من هجمات الرومان الذين يتمتعون بعنصر الأرض والغذاء والحصن، بعكس العكس لجيش "هاني بعل".

طلب "هاني بعل" مقابلة "إبليس" الذي حضر بعد عناء وأخبره أنه لا يمكن مساعدة فَقَدْ ساعده بما فيه الكفاية، ولكن في الحقيقة هو ورطه في مواجهة جيش عملاق وإراقة الكثير من الدماء ما يزيد عن 200 ألف من الجنود والأرواح، ثم تركه وهرب.

تقهقر "هاني بعل" بجيشه ووجد نفسه محاصرًا برًّا وبحرًا، وعاد إلى "قرطاج" بعد عناء كي يُدافع عنها ومات بإحدى السهام الغادرة أوقات محاصرة الجيش الروماني الذي استمر ثلاث سنوات كانت كفيلة بتدمير أسطورة "هاني بعل" الدموي وتدمير قرطاج نهائيًّا.

سقط متعاهدًا جديدًا وانتهى عقد محرم آخر مع "إبليس" .

***

"نبوخذ نصر"

"خُلق لعنةً" هكذا نطقها "أكثر" وهو ينظر الى رجل يعدو فوق جواده إلى أرض المعركة ويدخل خيمة منسرعًا ويقول:

– مولاي نبوبولاسر لقد أنجبت الملكة أول أبنائك وحاكم بابل القادم من بعدك، إنها بشرى يا مليكي كي ننتصر في تلك الحرب.

ما إن سمع الملك تلك الكلمات وتلك البشرى حتى أعلن الحرب وقال:

– إن كان قدومه نصرًا فسيتحقق النصر اليوم وإن كان قدومه هزيمة فسأعود وأقتله.

ثم هجم الجيش البابلي على العدو وكبَّد العدو خسائر كبيرة وانتصر وعاد الملك مسرعًا بالغنائم إلى ابنه ومملكته.

سماه أبوه "بختنصر" وعمل على تربيته ببيئة عسكرية قاسية كما تربى هو، أدخله إلى الجيش ففي سنٍّ حديثة قاد بلاده إلى عدة انتصارات أهمها هزيمة الآشوريين في معارك عدة عظيمة.

لم يكن "بختنصر" يطمح إلى الحكم بل كان يطمح إلى فرض نفوذه وسيطرته الدموية على كل جيرانه والبلدان القريبة، وتوسيع إمبراطوريته إلى أبعد الحدود، قاد جيش بلاده في الكثير من المواقع وانتصر ووسع رقعة حكم والده وحكم من بعده.

مات أبوه في ظل ظروف غامضة وأحرقه "بختنصر" كما هو المعتقد وقتها، وعيَّن نفسه ملك وأكمل مسيرته في توسيع المملكة وبسط نفوذه، ولكنه أحسَّ بشيء ناقصٍ في نفسه لم يكن يعيه جيدًا حتى راوده حلم "كل الناس تسجد له وتقدسه إلا مجموعة من الناس تسجد بعيدًا عنه وتعبد إلهًا في السماء" أفاق من نومة مستاءً غاضبًا وأرسل جنوده بحثًا عن هؤلاء القوم.

في ليلة مظلمة جلس على عرشه يفكر في ذلك الحلم عندما أتى إليه رجل عجوز دميم وقبل أن يلحظ وجوده كان ساجدًا تحت قدمه قائلًا:

– ألست أنت إله هذه الدنيا؟! حاكم كل تلك الأرض؟! لِم لا يسجدون لك؟ وكيف في أرض بالقرب منك يسجدون لأحد غيرك في السماء؟.

دفعه "بختنصر" بقدمه فأوقعه أرضًا، اعتدل الرجل ليجد أن شكله قد اختلف وأصبح على هيئة دميمة وقوية، ارتعد لوهلة "بختنصر" لكنه تمالَك نفسه وتمعن في وجهه وتذكر أن أباه أخبره سابقًا من زوار يأتون إليه بنفس الشكل يكون لهم يد في نصرته ومساعدته، اقترب منه وقال:

- هل لك أن تساعدني يا هذا في إخضاع الجميع أمامي؟

ردَّ إبليس مبتسمًا:

- لا لن أساعدك في إخضاع الناس بل أساعدك في سجود الناس تحت قدمك وخاصة القوم في آخر حدود مملكتك، يجب أن تنتقم منهم.

ثم تقدَّم وأعطاه قطعة من الجلد فلطخ بها من دمه وأعادها بين يدي إبليس الذي تبخر ضاحكًا.

بالفعل توجَّه "بختنصر" وهزم الجيوش التي تحمي "القدس" المتحالفة مع الفراعنة والآشوريين واستطاع أن يحتل تلك المدينة ويُنهي خلافة أبناء "داود" وسباهم إلى بابل وأذاقهم مُر العذاب حتى يسجدوا له،ولكنهم أبوا أن يسجدوا تحت قدم كافر مُدعٍ الألوهية، "هم كانوا على معصية وقتل للأنبياء فسلط الخالق عليهم طاغية متعاهدًا مع إبليس" قالها أكثر ناظرًا إلى الناس تسجد بين يد "بختنصر".

استمر تعذيب أبناء "يهوذا" قرابة الخمسين عامًا كي يكفروا ويسجدوا له، ولكنهم أبوا وحاول منهم الكثير للهروب، وكلما أمسك بأحدهم قتله وعلقه حتى يتحلل على مرأى من الناس وعلى مسمع من الجميع.

لم يعلم "إبليس" سِرَّ تمسك "بختنصر" بالانتقام من هؤلاء القوم بتلك الطريقة، ولكنه كان يروقه هذا،فهم أصحاب "الديانة السماوية الوحيدة" على هذه الأرض.

ازاد غله وكُرهه لِمَ لا يريدون أن يسجدوا له؟ ففعل ما لم يتوقعه إبليس نفسه، لقد أمر جنوده أن يعدموهم ويعلقوهم في طريق يصل بين القدس وبابل، وتركهم هكذا ليشاهدهم الجميع، لقد قتل الآلاف من الأطفال والشيوخ والنساء بدم بارد.

– أي إنسان يفعل هذا من أجل فكرة أتت له، يؤله نفسه ويفعل ما لم يتوقعه الشيطان نفسه، علق الجثامين عراة في طريق طويل، متفاخرًا ومتباهيًا أنه اله يقتل من يريد ويترك من يريد، أي جبار هذا لا يشعر بجريمته كأنه ورث الدنيا ومن فيها.

اغرسوم قال تلك الكلمات وهو مشتعل الجسد ونظر إليّ وقال:

– سأريك الآن نهايته.

مرت خمسون عامًا على تلك المذبحة وازدادت قوته وتناثرت مملكة في أواخر الأرض شرقها وغربها، الدماء سالت في كل مملكة بقسوة، الأضحيات من البشر كانت تذبح له في كل عام على يد جنوده وكهنته الضالين.

نام الملك "العظيم" في يوم ارتُكب فيه آخر مذبحة ضد قرية صغيرة أبت أن تضحي بأحد أطفالها قربانًا للملك "رأى نفسه محاطًا بأوجه يعرفها ملطخة بدمائها تقترب منه وهي تبكي وتصيح به، إنه يعلم تلك الوجوه جيدًا، إنهم ضحاياه في كل ماكن وكل بقاع مملكته، يريدون القصاص منه، صاح ولم يسمعه أحد، استغاث بشدة لكنه إله فمن يغيثه، صرخ"، وأفاق من نومه غارقًا بعرقه النتن من جسد ينتظره مكانه الخاص به في حفرة بجهنم.

تناسى الحلم ولكنه تكرر مرارًا وتكرارًا، إنها لعنة أصابته وأصبح يرى تلك الضحايا تراقبه وتطارده في حلمه ويقظته، يتخيلهم في كل مكان، يهرب منهم وسط جيشه ويتدارى، لقد جُن وأصبحت قراراته غير متزنة، خسر الكثير من المعارك لتغيبه وتغيب عقله الشارد، أصبح يزحف على الأرض ويقلد الحيوانات، لقد جُن، عزله ابنه "مردوخ" في برج حتى انتحر من فوقه وهو يردد: "اتركوني وشأني، أين أنت يا حليفي؟"

"لا تظن أن من رأيتهم هم فقط من تحالف معهم إبليس يا طاهر، إنهم قلة، ولكنهم أكثر تأثيرًا من غيرهم وأكثرهم سفكًا للدماء ومعصيةً وقتلًا، رجال اختاروا النار سكنًا فأعدها الخالق لهم جيدًا، ادعوا الألوهية وتعاهدوا مع الشيطان بعقد محرم دفعوا ثمنه جيدًا وتركهم إبليس في معاناة دامت معهم حتى بعد موتهم".

***

"اغوى بعقده الغاوين، دفعوا بدمائهم ثمن العقد، وتركهم يقابلون مصيرهم المحتوم".

أتباع

لقد سئم إبليس عهوده المحرمة مع أبناء آدم ففكر في شيء جديد أكثر فاعلية وأقلها عطاء منه، سيبحث عن ضعاف النفوذ حثالة أو شر النفوس كي يستغلهم ويعطيهم قوة وهمية لا أصل إليها، لن يعاهدهم أبدًا كما كان يفعل مع أبناء آدم بل سيستفيد منهم وكي يمهدوا له الطريق ويستغلهم دون مقابل سيكونون أتباعًا له باعوا روحهم للشيطان "دجالين، سحرة".

إنهم يمهدون الآن لشيء عظيم، لفتنة عظيمة لو حدثت سيهلك معظم أبناء آدم إلا القلة القليلة منهم، إنهم أداة تافهة في يد مخطط عظيم قد نال كل أوسمة الذكاء والدهاء على مر العصور، شيء خطط له جيدًا منذ طرده ولعنه، والآن ينظر إلى ما يقوم به أتباعه على أكمل وجهٍ وهو ينظر بتشفٍ وكبرياء.

- ولكن كي يتمكن إبليس وأعوانه عليهم التمكن من تمهيد الطريق إلى هدفهم الأعظم والأسمى إلى الأبد، لا بد من تمهيد الأرض لهذا الحدث العظيم، لا بد من وجوود أداة في عالم الإنس كي تمهد لهذا وتسهل الأمور أسرع ولها تأثير أقوى وأعمق في نفوس الآدميين.

قالها أكثر في خوف وقلق ثم أكمل:

- وقد تمكن أخي أن يزرع هؤلاء أوسطكم وسادة عليكم وبسهولة لم يكن يتوقعها هو، إنهم كثيرون وإن أردت إخبارك بهم وأسماءهم ومناصبهم فلن تصدقني،ستزورهم أمواتًا وأحياء إن أردت.

- ما الذي تقصده يا أكثر؟ مَن هم الذين حولنا في كل مكان وفي أماكن مهمة مصيرية؟.

- إنهم دائمًا صانعوا القرار يا طاهر، هم من حددوا مجرى الأحداث وأثروا في التاريخ، وهم مَن يفتعلون كل شيء الآن، السلم الكاذب والحرب الدائمة، اختلاف الأجناس والأعراق، العنصرية والطائفية،الحدود والقومية،الاختلافات السياسية والأجندات الدولية، كل شيء يحدث هم لهم دخل به، انهيار اقتصاد دولة وإرباك الرأي العام، احتلال دولة وزرع قوى معادية في كل مكان.

وقف إبليس في تجمع سنوي يحضر فيه كل أتباعه من الآدميين والجان وقال:

– لقد اقترب الوقت وأصبح الحلم قريبًا، المخلص أوشك على الخروج، نهاية العالم ونهاية الخلافة اقتربت، أبناء آدم في سهو وغفلة، ونحن يقظون، شياطين الجان والإنس مجتمعون في مكان نحضر به كل عام، نحن من يحدد المصير ونحن من نملك المصير لهذه الأرض، إن أردنا إحياء أحد فعلنا وإن أردنا قتل أحد تمكنا، نحن الفكر الجديد والقوى الوحيدة للعالم.

– ما هذا المكان يا أكثر؟ هل نحن بالعصر الحالي أم في الماضي؟

– نحن الآن في كل الأزمان، انظر بتمعن سترى أوجهًا تتغير والمكان والطقوس واحدة،الشيطان على عرشه والجميع سجود أمامه، يأمرهم ويدلهم على خططه في نفس المكان من كل عام، يمهد الطريق لكارثته الكبرى وابنه المختلط الفتنة العظمى، لا يوجد شيء على الأرض حقيقية أكثر من هذا الجمع.

رحلة مرهقة حقًّا مررت بها في وقت ليس بالقليل، بابل ومصر والروم والآشوريين والهكسوس والتتار والمغول وحتى الصليبين وفي كل عصر، أي طاغية ظهر على وجهه الأرض كان ل"إبليس" يد في تقوية أوصاله وتثبيت أركان ملكه بشتى الطرق.

– أنت رأيت معي كل شيء الان يا طاهر، رأيت معي كل القادة التابعين لإبليس وأنتم تمجدوهم في أنفسكم وأمام العالم، تظنون أنهم المصلحون، أقنعتهم الزائفة سقطت أمام عينيك الآن، لا تترك الأمور

تسير كما هي، أنت في دوامة من الفغلة، إعلام كاذب مُضلّل، وقرارات سياسية تؤخذ وأنتم في غفلة، حروب تقام في الخفاء وسلام وهمي بين كل الدول المستعبدة لشعوبها، الأمور أكبر مما ظهرت علية وأعمق مما تراه الآن.

مشهد مهول لحشد يسير حاملًا عرشين على أكتافهم في مشهد يجسد عبودية وسخرة لملوك قدامى، ولكن ما يختلف الآن أن المحمولين ليسوا ملوكًا بل مسوخ يجلسون فوق أعناق البشر الضال كأنهم مسحورون أبلا عقل رشيد، أحد هؤلاء المسوخ هو أصل كل فساد وشر في الأرض "إبليس" والآخر أعور غليظ الصوت وبشع المنظر ولكن أتباعه يبجلونه ويقدسونه، وله من الأتباع ما يفوق الخيال، فله من الجان ومن الإنس معًا.

كلما مر على قرية أو بلدة أمر جنوده بإحضارهم وإرغامهم على السجود "إنه مُدعٍ الألوهية" جديد،ولكنه أعظم شأنًا مما مضوا، فلديه جنان يدخل بها من يشاء ولديه نار يلقي بها من يشاء، من يتبعه يدخله الجنة ومن يخالفه ويقول له: إنك لست الخالق يلقيه في النار بكل حسم.

سرعته كبيرة وقدراته عظيمة، ينظر له إبليس بين كل وقت والآخر في فخر وتباه وابتسامة تملأ وجهه القبيح، إنه حلمه وكل ما خطط له متمثلًا في شخص يجبر العالم على السجود له وعبادته، لقد أضلّ كل العالم إلا قليلًا هربوا إلى أعالي الجبال.

إنه يوم إبليس المنتظر، يتذكر كيف فَرَّ الجان وجنسهم إلى أعلى الجبال وأبعد الجزر المتفرقة خشية من الملائكة الغلاظ، الآن تبدَّل الحال ونفذ إبليس حلمه وأرضى غروره وكبرياءه الطاغية بأن يرى أبناء آدم خلفاء الأرض يسجدون لصنعه ويهربون إلى أعالي الجبال كما فعلوا من قبل، خائفين داعين الخالق في بكاء وخشية من إبليس وجنده ومن الفتنة الكبرى.

أنا لا أريد أن أكون هنا لأكثر من ذلك يا أكثر، أعدني رجاء إلى عالمي، ما هذا الفزع؟ وما هذا العالم القبيح؟ النار في كل مكان وأتباع إبليس يعبثون بكل البشر، الجان هو سيد الموقف، وذلك المسخ ذو قوة نفاذة وقدرات عظيمة، أي عالمٍ هذا الذي سنؤول إليه؟ إنه اجتياح لجنسنا يا أكثر، إنهم يبيدون عالمنا، إنها نهاية العالم.

– لا فلتنتظر إلى نهاية الأمر، عليك أن تكمل كل شيء حتى آخره، أنا أعلم أن ما تراه صعب لكنه سيحفر داخل عقلك وروحك وسيكون سببًا لاستكمال رسالتك في نقل النائمين والغافلين من عالمك إلى الحقيقة، أنت تُكوى بنار لم تشعلها، ولكنها يجب أن تطفأ قبل ان تحدث، نهاية العالم مكتوبة وهي قدر، ولكن ما أرمي إليه أن ينجو منها أكبر عدد من البشر المؤمنين، الباقي هالك كما ترى، تنهار بهم الأرض وتبتلعهم، وتشتعل بهم النار وتفحمهم، وقريبًا سيكون هناك البوق ويأجوج.

ما تلك الكائنات التي تنهمر على الناس كفيضان نهر جارف يأخذ كل من في طريقه، الجان والإنسان يهربون جنبًا إلى جنب إلى أعالي الجبال، وكل من سقط صار حطامًا في دقائق، ما كل تلك الأشكال البشعة؟ يأكلون كل شيء بنهمٍ، إبليس ينظر بخوف نعم، لقد علم أنها النهاية، وهو أكثر من عاش ويكون أكثر مَن يتألم في موته، لقد خرجت الأمور إذًا عن السيطرة وخرج إلى العالم "يأجوج ومأجوج" يأكلون البناء والخضار ويشربون الماء لا شيء يوقفهم، وهم كُثر لا حصر لهم، أصوات وأشكال لا أعيها، ولهجة لم يسمع أحد عنها أو يُدوِّنها تاريخ من قبل، ذلك الرجل الذي ابتلعوه وأصبح فتاتًا في ثوان، إنه جحيم قد فُتحت أبوابه على العالم، لقد انتهى أمر الأرض وسُكَّانها، لكن مهلًا، مَن هؤلاء الذين يسجدون ويبكون على أعالي الجبال هناك، هم في مأمن لفترة، قبل أن ينتهي أولئك الطغاة من الأرض سيصعدون إلى الجبال بحثًا عن المزيد، يلقون سهامهم إلى السماء في عزة وجهل، يردون قتل أهل السماء، إنها تمطر دمًا، إنهم يحتفلون اعتقادًا منهم أنهم قتلوا مَن بالأرض ومَن بالسماء.

الدماء تحوَّلت إلى دود عملاق يتساقط عليهم، يصرخون ويصيحون في خوف، ما الذي يحدث؟ هل يموتون؟ نعم يصرخون ألمًا وخوفًا من الديدان، ما كل تلك الأعداد التي تتساقط جثثًا هامدة، ستنشر الوباء حتمًا في كل مكان ومن بَقيَ مِن أبناء آدم سيموت حتمًا.

ما الذي أراه؟ أنظر معي، طيور عملاقة تحمل الجثث وتطير بعيدًا، إنهم ينظفون الأرض من أجسادهم، أمطرت السماء من جديد ونبتت الأرض، في أعالي الجبال يحمدون ويكبرون الخالق، إنها علامة نصر.

***

علامات بدأت في الظهور، وكلما توالت اقتربت الساعة في الحضور

ثقل جبل

- لماذا تجذبني هكذا يا أكثر؟ ماذا حَلَّ بك؟

- يجب أن أخرجك من هنا، لقد كُشف أمرنا يا طاهر، والآن "إبليس" يسعى خلفك لقد علمتَ كل شي وأكثر مما ينبغي، الآن وقد حملت السر الثقيل وحدك، لا تستأثر به لنفسك فقط، واذهب إلى بني جنسك به وأبلغهم ما علِمتَ، وتذكَّر أن كلمة "إبليس" نافذة أكثر مما تظنُّ بكثير في عالمكم، وأنا سأحاول أن أؤخره لعلك تخرج من عالمنا سالمًا، وتذكَّر: لا تثق بأحد من عالم الجن أبدًا، وتأكد دائمًا أن مَن تقابلهم بعالمك هم من بني جنسك من الأساس.

لم أكن أتصور أن يكون وجودي داخل عالم "إبليس" سيفسر عن الكثير والكثير من الأمور التي تحدث ولا نجد لها سببًا أو تفسيرًا وتتناسى مع الأيام وتتوارى مع الأيام، ويظل العدو متربصًا بنا في كل نبضة ونفس، ولم أكن أعلم أن نفوذ سارٍ لأقصى درجة حتى داخل عالمي.

وقع الكرسي ذو الثلاث أرجل بي على الأرض، حقًّا لقد كانت وقعة مؤلمة، ولكنها كانت أخفَّ بكثير من الألم الذي كنت سأشعر به لو لحق بي "لوسفير أو إبليس" أو أيًّا كان اسمه، لقد طاردني بشراسة وكاد يمسك بي لولا أن تصدَّى له "أكثر" ودلَّني على طريق الرجوع، ولكنه توعَّدني بأن يرسل أحدًا خلفي كي يقتلني كما فعل مع من سبقوني، لقد عرفت حقًّا أكثر مما ينبغي بكثير.

سمعتُ صوت المفتاح يدلف في مسكنه والباب يُفتح من تلقاء نفسه بسرعة جعلت حدقتي عيني تتأذيان من الضوء القادم من خلف جسد أسود يتسلل الضوء من ورائه محاولة الوصول إليَّ، لا أستطيع تميز ملامحه، ولكنه شخص أسود محني الظهر يقترب مني في بطء مميت.

صرختُ بشدة،وظننتُ أنها النهاية، جاء الصوت ضاحكًا وبصوت مألوف لي وأمقته بشدة قال لي:

– لقد كسرت الرقم القياسي حقًّا أيها الشاب، فأقصى فترةٍ قضاها شابٌّ استطاع أن يمكث داخل تلك الغرفة لم يتجاوز الثلاث دقائق، بينما أنتَ فور أن قفلت بثوانٍ سمعت صوت الكرسي يقعُ، ففتحت مسرعًا مخافة أن تتأذى في الظلام.

– أتمازحني أيها العجوز؟ ثوانٍ قليلة، إنها قرون أيها النتن المتآمر مع الشيطان.

فور أن سمع تلك الكلمات تغيَّرت ملامح وجهه وكأنه تأثر بما صدر مني وقال:

– متآمر مع الشيطان! ماذا رأيت بالداخل أيها الشاب؟ بل ماذا يرى كل مَن يُغلق عليه باب تلك الحجرة الغريبة؟

كنتُ على وشك رفعه عن الأرض وإلقائه من الدور العلوي وأراه يسقط ويتحطم كي أدفنه بعد ذلك داخل تلك الغرفة وأُغلق عليه، لكنني ترددت قليلًا وقلت:

– ماذا تقصد؟ أأنت لا تعلم أي شيء عن تلك الغرفة؟

دمعت عيناه وقال:

– بدأت لعنة تلك الغرفة مع ابني الأكبر عندما كان في مثل عمرك، وكان يعيش في تلك الغرفة، ويمكث داخلها ساعاتٍ طوال ولا يخرج منها، حتى سمعنا ضجة وجلبة شديدة وحاولنا بكل الطرق فتح الباب أو كسره دون جدوى وعندما فُتح الباب، خرج ابني يجري مسرعًا وعلى وجهه علامات الخوف، وقد تحوَّل شعره إلى الكثير من اللون الأبيض وفتح باب العقار وهرول للخارج وصدمته سيارة نقل ثقيل وقد مات من فورًا، بعد دفنه قررت الأسرة بالكامل أن تنتقل للعيش في المدينة كيلا يروا ما يذكرهم بالشاب الفقيد، ومن وقتها وأنا أعرض الغرفة للإيجار دون باقي العقار الذي ما زال به بعض المتعلقات الشخصية، وكلما أتى شاب إلى هنا حدث معه نفس

ما حدث مع ابني، ولكنهم لم يستطيعوا المكوث حتى خمس دقائق وعندما يخرجون يفرون كالمجانين إلى الخارج، وبعد أيام أعلمُ أنهم قُتلوا في حوادث غريبة بالقرب من العقار، ولأن مهنتي الأصلية هي أن أدفن الناس فدفنتهم جميعًا كما دفنت ولدي، هل علمت الآن ما أُخفي؟.

***

هل وصل سرعتك في يوم إلى 180 دون قيادة سيارة مرسيدس؟ لا أنا قد وصلت لتلك السرعة على قدميَّ إحداهما دون حذاء، كلهم ماتوا بعد أن علموا السِّرَّ، توقفت بالقرب من محطة لتموين العربات بالوقود، ودخلت كي أشتري أي شيء آكله، فقد ظللتُ قرونًا دون طعام، وعندما دخلتُ ظنَّ البعض أني متسول من مظهري المفزع، تركتهم وذهبتُ إلى "دورة المياه"، اغتسلتُ ونظرتُ إلى المرآة، لمحت خصلة بيضاء تتدلى من وسط شعري بفعل المياه، لقد شاب شعري بالفعل، أنا لم أكن داخل الغرفة أحلم بكابوس، وكل ما رأيته كان صحيحًا وأنت رأيت كل شيء معي، أليس كذلك؟ ماذا أفعل في رأيك بعد أن علمت كل تلك الأسرار ومن وراء كل شرٍّ ومصيبة تحدث؟ أنا فكرت في عدة أشياء،وعليك أن تخبرني رأيك فيما توصلت إليه، أنا فكرتُ أن أُرسل كل ما حدث إلى رجل إعلامي أو كاتب معروف، ولكن ما جذبني بشدة أن أكتب بنفسي رواية تحت مسمى لم أختره بعد، ولكنني أظنُّ أني سأسميه: "غرفة كانبرا"، لِمَ تنظر إليَّ

هكذا؟ لِمَ تبتسم الآن؟ حسنًا، اختر اسمًا إذا لم يعجبك هذا، سأشرح لكل الناس كل ما توصلت إليه من سرٍّ أما إذا مت فأكمل أنت ما بدأته ولتنشر كل ما قلته لك وما سمعت وشاهدت بالتفصيل، لا تحمل الجبل وحدك كما فعل الجهلاء قبلنا، لن ننجو إلا إذا علم الجميع الحقيقة، حسنًا، اذهب أنت وسأوافيك بعد قليل، اذهب.

أنا أشعر بالدوار وبرودة تسري داخل عقلي، ما هذا الصوت الذي يحدثني؟ أنا لا أتذكر شيئًا، ما الذي يحدث؟ ما الذي تقوله يا هذا؟ أنا أسقط أرضًا، لا أحد بجانبي، أين ذلك البيت؟ أين ذهب العجوز والطريق؟ أين أنا؟"

صوت به فحيح "عندما تفيق يجب عليك أن تعلم أنك لم تذهب إلى "كانبرا" أو تخرج خارج بلادك، إن كل ما رأيته حقيقي وقد عايشته، لكنني لم أكن لأقنع عقلك المادي المحدود سوى بتجسيد قصة كاملة كي أدخل خلالها إلى عقلك وأفتح كل أقفاله الصدئة، أنت جنس لا يهتم سوى بالمادة، لذلك كان عليَّ هذا، أن أقنعك بالمادة، لا وجود لعجوز ولا وجود لغرفة ولم تسافر إلى أستراليا، لكنك انتقلت إلى ما هو أبعد بروحك وعقلك المحدود، عندما تفيق ستدرك كل شيء وستدرك الحقيقة، وستجد نفسك أمام جبل حمله ثقيل، وأنا ساعدتك على تدوينه، هل ستظل طاهرًا أم ستكون شيطانًا وجب عليك الحرب والطرد كما وجب على أبناء جنسي؟

الحقيقة

أنا أجلس على مكتبي تحت ضوء خافت قادم من جسم شمعي منصهر وأمامي عدة أوراق منثورة فوق مكتب يبدو عليه التنظيم الشديد، هناك العديد من المراجع التاريخية والدينية التي تخصُّ كل الديانات والمعتقدات السماوية منها وغير السماوية، مخطوطات بمختلف اللغات وتنتمي لأقدم الحضارات على مَرِّ كل تلك العصور "الفرعونية، البابلية، اليونانية" وغيرها، وأيضًا كتب تنتمي للسحر منه الحقيقي الفعال ومنه الوهمي.

الهواء قارس البرودة قادم من ذلك الشباك المفتوح على اللاشيء، الستائر تتطاير مع مرور الهواء البارد خلالها، أصوات صفير الرياح تُؤثّر في نفسي وتزيدني خوفًا، يدي ترتعش مرورًا بالقلم فوق تلك الصفحات التي لم يعد هناك مكان للكتابة بها.

أنا تحت تأثير شيء قوي لا أستطيع شرحه وكأنني آلة كتابة أعدَّها صاحبها بمهارة وإتقان لتأدية غرض ما، وأظنني أبليتُ بلاء حسنًا، البخار يخرج من أنفاسي لأراه أمامي يتطاير وما زلتُ أرتعش وأقطرُ عرقًا في آنٍ واحد.

إنها آخر ورقة على ما أظنُّ أنهيها الآن ولا أعلم عن ماذا كتبت أو من أين أتيت بكل تلك المعلومات التي وضعتها داخل المئات من الصفحات المتناثرة هنا وهناك، أجمعها من آن لآخر حتى لا أفقد ترتيبها.

وضعتُ القلم جانبًا ونظرت إلى يدي لأجد بها أثرًا للدماء من أحد أصابعي جراء استعمال القلم مدة كبيرة لا أتذكرها، ما زلتُ أرتعشُ وأشعر بيد ثقيلة ممسكة بكتفي اليسرى، استدرت بسرعة ولم أجد أحدًا خلفي، لم أجد إلا جدارًا متساقط الطلاء.

أين أنا؟ وكيف أتيت إلى ذلك المكان؟

أنا داخل منزل مهجور مكوَّن من طابقين، وحولي الكثير من الأراضي الصحراوية الخالية تمامًا من الحياة، إن الظلام في كل مكان، والبرودة هنا أقوى ما بالمكان، الأثاث القديم المفكك الأوصال، والجدران المهدومة في بعض أماكن البيت، السلالم المنفصلة عن بعضها البعض تاركة فراغًا، وعليَّ الآن أن أقفز لأعبرَ إلى أسفل الدرج، إن هذ البيت على الطراز المصري القديم، ولكنه في مكان ناءٍ وما زلتُ لا أذكر كيف أتيت إلى هنا.

جمعتُ أوراقي سريعًا من فوق المكتب ووضعتها بحقيبة وجدتُها بحالة جيدة تخصُّ أحد رجال الأعمال ثم حملتها وحملت الشمعة بيدي الأخرى واتجهتُ ناحية السلالم المتهالكة، قفزت وتعثرت قدماي ووقعتُ ملتفًّا على السلالم.

شعرتُ بألم في ضلوعي، ومن حُسن الحظ أن الشمعة تعلقت بإحدى قطع الحيد البارز من إحدى زوايا البيت، الحقيبة بخير، وقفتُ بصعوبة ولمحت أحدًا يقف خلفي، استدرت بسرعة لأجدَ شابًّا طويل الشعر واللحية يرتدي ملابس ممزقة، اندفعتُ إلى الخلف مفزوعًا لأجده يفعل المثل، لحظة، إنه ليس شابًّا! إنه أنا أقف أمام مرآة متسخة بطول جسدي، ماذا حلَّ بي؟ وكيف أتيتَ إلى هنا؟

هناك حركة في الطابق العلوي، أنا لن أصعد هناك ثانية بكل تأكيد، هل أنا ميت، أم فقدتُ الذاكرة؟ ولكن كيف فأنا ما زلتُ أتذكر كل شيء قبل أن أنتقل إلى هنا، نعم لقد كنت، أين كنت؟.

***

اسمي "طاهر، طاهر سعيد خلفية"..

شابٌّ، نشأتُ بأحد الأحياء الشعبية، درست وتخرجت في كلية الحقوق بإحدى الجامعات الحكومية، وبعد مرور عدة سنوات على تخرجي تفاجأتُ بأنني أقف في مكاني دون حراكٍ في مستوى معيشتي

أو وظيفتي، لم أتقدَّم خطوة في أي شيء سوى عمري، لذلك كان عليَّ أن آخذ مسلك آخر من العديد المتاحين أمامي.

أولها أن أسافر وبكل جدية، لقد فكرتُ مليًّا بالسفر وبالفعل تقدمت بهجرة لدولة لا أذكر اسمها جيدًا الآن، ولكنني أظنُّ أنها "أستراليا"،وثاني الطرق هو أن أعمل بأحد الأعمال المشبوهة بالتجارة سلاحًا كانت أو مخدرات، فإنها تدرُّ الكثير من الأموال على صاحبها الذي في آخر الأمر إما يُقتل أو يُقبض عليه ويقع تحت طائلة القانون أو يصير حوتًا يبتلع القانون نفسه وكل من يقف أمامه وهذا نادر.

أما المسلك الثالث الذي وجدته في البداية انتحارًا ويعدُّ من أمور الجنان، لكن تغيرت وجهة نظري له بعد ذلك وهو أن أجد عقد عمل، نعم عقد عمل ولكن ليس مع أبناء جنسي، ليسوا من بني آدم بل من بني الجان.

أعلمُ بما يطرق عقلك الآن بأنني مجنون أو واهم، ولكن الحقيقة هي غير ذلك تمامًا، فليس كل العقود معهم تتطلب أعمالًا ودجلًا وشعوذة، بل إن هناك طريقًا أسهل ولكنه أشد وطأة إذا تراجعت فيه، سأخبرك بما حدث ولك الحكم في آخر الأمر ولكن قبل كل شيء يجب أن تضع نفسك في مكاني ومحنتي.

كتاب ألقى به القدر أمامي، وأنا أقصد هذا حرفيًا نعم، لقد أتيتُ بكتاب لتحضير الجان، وعندما انتهيتُ منه ظللتُ أضحكُ وتحدثتُ بصوت مسموع أن هذا هراء، وإن كان غير ذلك، فليكن هناك دليل، وبالفعل عندما أتممت لم أجد أثرًا للكتاب القديم بينما وجدتُ كتاب آخر تمامًا غريب الشكل، وهناك علامة على صفحة بداخله تُشير إلى كلمة تقول: "إن أردت الدليل انطق بهذا الاسم ثلاث مرات" وكان الاسم هو "أكثر".

عندما قلت الاسم أول مرة "أكثر" أغلق الكتاب بشدة.

وعندما قلت اسمه مرة ثانية "أكثر" أغلق النور بقوة مفرقعًا ومحدثًا شررًا.

أما الأخيرة عندما قلت اسمه "أكثر" لم أفق إلا وقتما كنتُ أمسك بالقلم وأجلس ها هنا داخل هذا البيت الذي لم أجد له بابًا إلا الآن في هذا الظلام.

لا أعلمُ لِمَ أضعتُ كل ذلك الوقت في شرح الأمر لك، لقد اقترب الصوت أكثر الآن، إن السقف يعوي من ثقل ما يحمله فوقه، يجب أن أخرج من هنا في الحال، هل ترى تلك الورقة التي تتطاير هبوطًا إلى الأرض قادمة من الأعلى؟ يبدو أن أحدًا ما ألقاها عمدًا، ما تلك الكتابات الغريبة بكل تلك اللغات؟ ولكن مهلًا، هناك اللغة العربية بينها.

يجب أن أقترب من الشمعة المعلقة لمعرفة ما في تلك الورقة، نعم هذا أوضح كثير، ما تلك الجملة؟

"لقد كنتَ جنسًا طاهرًا، خليفة للأرض، تحيا سعيدًا ولكنك اليوم ارتكبت من المعاصي ما ارتكبه جنسي من قبلك، ولم يتبق سوى شيء واحد كي تحل عليك الحرب وتنتهي خلافتك كما انتهينا، أن تتبع الكفر وتقع في الفتنة القادمة، اذهب بكل ما في تلك الحقيبة وأخبر الناس، عسى أن ينجوا وعسى أن تكون تلك هي رسالتي التي فشلتُ في أن أقولها لقومي في يوم"

هل علمت الآن ما حدث معي؟ وهل شعرت بما شعرت به؟

هل علمت ما معنى الخوف الحقيقي وهول ما نحن مقبلون عليه؟

والأهم من كل هذا هل علمت ما عليك فعله الآن كي تنجو وكي ينجو معك من تحب وتكترث لأمرهم؟

أعلم أن لديك أسئلة عديدة تريد أن تسأل عنها، وأعلم ان لديك الآن من العلم ما سيجعلك مطاردًا مثلي تغيِّر من اسمك في كل مرة تكتب بها سطورك القادمة، ولكن بما أنك اخترت ذلك الطريق فإنك ستظلُّ مطاردًا حتى موتك، وإن شعرت بالخوف يومًا فألقِ أو أحرق بما بين يديك الآن، ولكن اعلم أنك بمجرد أن قرأت فإنك علمتَ وبما أنك علمتَ فإنك حملتَ معي، نعم حملت ثقل ذلك الجبل معي فلا تحمله وحدك كما فعل من قبلك، فحينها ستقع ضحية وستسهل

المطاردة عليه. فكلما زاد عددنا وزاد وعينا صعب عليه التخلص منا واحدًا تلو الآخر، وهذا الأمر ليس بالصعب عليه فلا ينهدم البنيان من رياح عاتية إذا كان صلبًا متكامل الجوانب.

نصيحتي لك قبل أن أرحل وأتركك تفكر مليًّا، لا ترحل إلى "كانبرا" مطلقًا، ولا تتحدَّ كتابًا لا علم لك بما يحويه، وتذكَّر لقد تغيرت حياتك للتوِّ يا صديقي وأصبحت مطلوبًا، و لكن ليس من بني جنسنا بل من جنس آخر خُلق من نار، وسيعود إليها إما بك أو بدونك، الاختيار يعود لك!

***

تنويه مهم

كل ما جاء بالرواية ما هو إلا من خيال الكاتب حتى وإن تشابه مع الحقيقة بقدر كبير، ولكن تظلُّ تلك الرواية هادفة إلى ما ترمي إليه، بعيدة كل البعد عن الحقيقة، وإن كان بها بعض من الصحة، فالغرض منها المتعة الفكرية والهدف المرغوب منها البحث عن الحقيقة، لذلك لزم التنويه.

عن الكاتب



محمود وهبة

صدر له:

- "صاحب الخطوة" رواية.. دار روعـة.. 2015م.
- "الطوارق" رواية (أولى أجزاء سلسلة رسالة من قبر).. دار فرست .. 2015م.
- المخطط.. رواية (ثاني أجزاء سلسلة رسالة من قبر).. دار فرست بوك.. 2016
- (لعنة نوبار) .. رواية .. دار إبداع 2016م
- "البيت القبلي".. رواية.. دار إبداع.. 2017م.

_سفر القتل ...رواية ....دار دارك عام 2017م.



للتواصل مع الكاتب

الصفحة الرسمية على الفيس بوك: الكاتب محمود وهبة

الحساب الرسمي على الفيس بوك: mhmoud wahba





صوت يصدر من الفراش بقوة لجسد ثقيل جلس لتوّه عليه، التفتُّ ببطء إلى مصدر الصوت، لحظات من الفزع لا تمرُّ، وقطرات من العرق أسمع صوت ارتطامها بأرض الغرفة اللعينة.

كم تمنيتُ أن أعود إلى غرفتي السابقة!

الظلام يزداد قسوة، ودرجة الحرارة أوشكت على تخطي حاجز الصفر نزولًا، تلك الومضة من جديد لعينٍ، نعم إنها عين ذات لهب مُختلط بسواد في المنتصف أو هكذا خُيِّل إليَّ.

هل امتلكت الشجاعة من قبل كي تواجه مصيرك المجهول؟

لا، هكذا ظننتُ أنا أيضًا وقتها لم أمتلكها، ولكن صدر من بين ضلوعي ما لا أتوقعه صوت دفين أخلَّ باتفاق الأمان معي.

مَن أنت؟ ماذا يحدث؟ أنهوا هذا الهراء الآن؟.

لك أن تتخيل الآن ردة الفعل من ذلك القابع ينظر إليَّ في الظلام، ويُصدر فحيحه المرعب.

نعم لقد وقف مُصدرًا رجَّه في الفراش، وظهرت عينان بدلًا من عين، وصوت يقول:

– وجب عليَّ أنا إلقاء هذا السؤال، ما هذا الهراء؟، فأنت لا تستحق مشقة انتظاري كل هذا الوقت كي تصل إليَّ يا طاهر.

Cover by #ahz_art


9789774885433





للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر

01111947957

E-mail : daroktob1@yahoo.com